الخوف من الموت

بقلم محمد وهبي

يكاد الانسان يقع وعيه على الحياة حتى يكلف بها ، ويتشبث بها ، فيندفع وراءهـا يعب من رحيقها عبا ، ويعتصر طاقته للاستمتاع بهـا اعتصارا ، حتى اذا قضى من العمر وطراء واشرف على استنفاد ثمالة الكأس المسكرة ، وقف بباب الموت وجلا مذعوراً . لقد استهان بكل شيء طوال حياته ، ما خلا صورة الموت ، فانها لم تتراء لمخيلته الا واشعلت في كيانه رعدة اشد هولا من الموت .

الواقع ان الموت في حقيقته ، غير الموت الذي يتصوره الانسان . فالموت عالم مجهول ، وليس بوسع الانسان ان يتخيل المجهول على غير صور وقائع الحس . انه العزلة التامة في نظر المحتضر . فالشعور الرئيسي عند المحتضر ـ وهو الشعور الذي طالما أثار الفضول ـ ، يتركز في إدراك الاقتراب من عزلة جديدة لم يعرفها من قبل : إنه يحس بانه يسير الى حال تنقطع فيها جميع علاقاته التي عهدها بالعالم الخارجي ، وبكل عالم آخر اتصل به . إنها الوحشة يتنبأ باحساسها بعد قليل ، حين ينتقل الى عالم لا يعرفه ، ولا يعلم إذا كان سيألفه أم ينفر منه ، ام انه سيصعق من هوله . إنها ذاته ، وهي المتكونة من كل ما اتصل به في العالم من مادة وحياة ومعنى ، باعتبارها نتاج وعيه لهذه العناصر ، إنها الذات ، يشعر بانه سيفقدها مرة واحدة ، ولا يدري اذا كان سيستعيدها ، ام يتخذ ذاتاً جديدة ، ام لا يتخذ شيئاً . ان مثله ، من بعض الوجوه ، كمثل المسافر الى ارض غريبة ، ولو ان المسافر الحي يتنبأ بالكثير من الامور الثابتة ، التي يجهلها مفارق الحياة .

وتجول كل هذه الاحساسات في نفس المحتضر . وكأنها رجع لحقيقة مقررة هي انه سيظل حياً ، بينما هو يعلم يقيناً انه سيفنى ، اى انه سوف لا تكون له حياة يستعين بها على التفكير والشعور . وما هذا التناقض في احساسه الا وليد أمرين : الاول حب الحياة ، والتمسك باهدابها ، والثاني ان الانسان لا يستطيع تصور الاشياء الا كما تعود ان يتصورها ، فكما انه لم يتمكن حتى اليوم من ان يتخيل الروح الا على صورة مادة ، كذلك فانه يشق عليه ان يتخيل ذاته بعد الموت ، على غير صورتها قبله .

امام هذا الوجل من الموت ، يقف اثنان وقلباهما ينضحان بالشجاعة والتمرد : رجل تقمص مثلا اعلى للبطولة ، فهو اذ يتفانى في خدمة رسالته ، يتجاهل الموت ولا يتعرف على الخوف منه ، ورجل تمرد بوعيه على عقلية القطيع ، فالتزم في حياته سلوكاً فلسفياً ، قائماً على التناوب بين الاتصال الاجتماعي الموغل الى ابعد الحدود ، وبين التأمل في العزلة للتجاوب الوثيق مع معاني الكون ، فهو بعد ان اعتاد العزلة وادرك سرها ، لا يأبه بالعزلة التامة المطلقة ، لانه ألف بعضها ، ولكنه ياسف فقط لان هذه العزلة ستحول دون استكمال رسالته . فالاول يواجه الموت بالتجاهل التام ، والثاني بالتفهم العميق . وموت الاول هو موت الابطال الشهداء ، امثال العالم الايطالي « جيوفاني بوليتا » الذي اجرى التجارب الطبية على نفسه ، فاستشهد في شهر ديسمبر الفائت بعد ان حقن نفسه بالمصل الذي كان يريد به إنقاذ البشرية من بعض الامراض ، وموت الثاني هو موت سقراط ، الذي شرب السم تنفيذاً لحكم الاعدام ، وواجه الموت بثبات وكبر وأنفة ، مع ان خلاصه منه كان ميسوراً بالهرب الذي دبره تلاميذه لو اراد ، ولكنه لم يرده لان في الهرب معنى الخوف ، وهو يتفهم الموت ولا يعرف الخوف .

ان اول ما نتعلمه من المبادىء هو الشجاعة . وان خلاصة ما نجنيه من الفلسفة هو ان نتعلم كيف نعيش ، وان نعرف كيف نموت . ولا بدع ، فما الفلسفة الا وليدة التأمل في الموت : انها بنت عزلة ، ولكنها عزلة غير تامة ، اي هي ناشئة من موقف يشرف على حالين معاً : الحياة والموت ، وحين تبتعد الفلسفة عن هذا الموقف تخرج عن موضوعها وتصبح لاغية . انها تنظر في علائق عالم الحياة بعالم ما بعد الحياة ، والفلسفة المسماة بفلسفة الحياة هي وحدها الفلسفة الحقة .

اذا كان النظر الفلسفي يعني تعلم الحياة ، فتفهم الموت في الواقع هو الشرط اللازم لحياة مستقيمة سوية . فتعلم الحياة ومعرفة الموت اذاً صنوان ، وليس لهما غير معنى واحد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في سفح عيبال

☆

ها أنا وحدي، في ثنايا الجبل
كأنني أسطورة تائهه
تهمسها الريح باذن السفوح
ها أنا، والفضاء حولي غزل
والكون عشق ورؤى والهه
وانت في قلبي وعينيّ روح
تومىء لي نحو غدٍ أخضرٍ
يغفو الشذى في دربه المزهر

***

ها أنا وحدي، ومعي صبوتي
ترفّ في صدري بألف جناح
وانت سر في كياني استتر
وكلما هتفتُ من فرحتي
اسأل ما انت سمعت الرياح
تقول لي في مثل همس القدر
انك يا «حبي» نشيد الخلود!
وانني صداك عبر الوجود

***

وتعتريني نفضة من شعور
بغبطة تملأ أحنائيه
كأنها لحن مضيء النغم
فأنثني احفر فوق الصخور
اسمك في نشوة احساسيه
واشبع الأحرف لثماً وشم
والفرح الكبير يا حبي
تهدر موسيقاه في قلبي

***

وترتمي عيناي في مرتمى
افقٍ بعيد حال ما بيننا
وكلما اشخص روحي تراك
احسّ عينيك وما فيهما
من وهج يطفر منه السنى
حولي تشعان بنجوى هواك
نارهما السوداء كالصاعقه
تنقضّ من نظرتك الحارقه

***

وأرسل «الأوف» غناءً حنون
يسيل من روحي وأوصالي
فتنتشي «بالأوف» حتى السفوح
لحنٌ هوىً مرتعش بالحنين
سمعته يوماً « بعيبال »
اذ انت في السفح غريب الجروح
فبات وهو اليوم اغنيتي
يحملني اليك في وحدتي

***

هل نلتقي؟ أواه! هذي أنا
سوسنة فتّح اكمامها
دفء الهوى والأمل المشرق
تلوي بها الريح، وتبقى هنا
تستودع السفوحَ احلامها
وانت عطر مسكر يعبق
في دمها. أواه، هذي أنا
وحدي هنا في السفح وحدي هنا!

نابلس — فدوى طوقان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من وحي دلهي الجديدة *

صوت آسيا

بقلم فؤاد صروف



في هذا العصر الذي تفور فيه النفوس وتصطرع المذاهب، تجد آسيا، اكبر القارات وأشدها ازدحاماً بالناس، وأقدمها حضارات وثقافات، تغلي كغليان المرجل. من قناة السويس، الى مزارع جاوه، ومن سواحل دولتي المشرق الى ساحل بحر الصين، تجد كيفما قلبت النظر، ثورة على شيء ما، او ثورة في سبيل شيء ما، فما هو هذا الشيء الذي ثارت آسيا عليه او في سبيله ؟

يظن بعضهم أنها ثورة على الجوع والفاقة. وليس ثمة ريب، في ان الكثرة من الف مليون نسمة او اكثر تعيش في آسيا، تعاني من شظف العيش وشر الفاقة بلاء كثيراً. والشيوعيون يعرفون هذا، ويحاولون باساليبهم البارعة، ان يتخذوا من الجوع والفاقة، سبباً لتأجيج نار السخط والثورة عسى ان يزداد انصارهم. وأهل الاقتصاد في الغرب، يعرفون هذا ايضاً ويذهبون الى ان المشروعات التي من شأنها ان تعزز القدرة على زيادة انتاج الارض، وتنمية الموارد، ورفع مستوى العيش، كفيلة بان تهدىء من غليان المرجل، وان تجنح بالناس الى الرضا.

ولكن آسيا ليست ثائرة على الجوع ولا على الفاقة، وان كانا كلاهما من العوامل التي تمهد لمثل سخطها وثورتها. ألم تثر اندونيسيا على الهولنديين ؟ الم تثر برما على البريطانيين؟ او ليست اندونيسيا وبرما من اخصب ارض الله، وليس في إحداها جوع يذكر ؟ ولقد روي عن جواهر لال نهرو قوله: «نحن الهنود نؤثر ان نجوع مئتي سنة، على ان نعنو لضغط سياسي من الخارج» وهذا قول، يبدو متطرفاً في جرأته، من سياسي يعتمد في سلطته على اصوات الذين يؤيدونه، ولو كانت الهند ثائرة على الجوع، وحسب، لعلم نهرو ان قولاً كقوله، خليق ان يفض عنه الانصار ولكنه ادرك بحسه السياسي الدقيق ان شيئاً غير الجوع، هو اجمع لعناية الهنود واعمق اثراً في نفوسهم.

ويذهب بعضهم الى ان ثورة آسيا إنما هي ثورة على «الاستغلال الاقتصادي»، وليس ثمة ريب في ان زمام المشروعات الاقتصادية الكبيرة، بين تعدين وزراعة وصناعة، كان اكثره ولا يزال بعضه، في ايدي اقوام من غير الاسيويين. وليس ثمة ريب في ان الشيوعيين يحبون ان يعتقدوا ان ثورة آسيا انما هي على «الاستغلال الاقتصادي» الغربي، فهذا ان صح هو خير سلاح يتتضيه الشيوعيون لمحاربة الدول الغربية في آسيا. وليس ثمة ريب ايضاً في ان جماعة غير يسيرة من اهل الغرب، تظن ان السر في ثورة آسيا يرتد الى نقمتها على الاستغلال الاقتصادي على الاكثر، فتراهم يميلون الى تقديم مبدأ المشاركة الصحيحة وتبادل المنفعة، في كل مشروع اقتصادي كبير حتى ترفع وصمة الاستغلال، وقد تم من هذا شيء كثير.

ولكن النقمة على «الاستغلال الاقتصادي» ليست تفسيراً كاملاً لثورة آسيا، وان كان لها اثر فيها. فقد استقلت الهند، ولكن ليس فيها ثورة على كبار رجال الصناعة وملاك الارض والأثرياء من ابنائها، وان كان فيها من لا يكف عن الاعراب عن نقمته على مواطن المال والاعمال في الغرب. وغيرها على غرارها فالنقمة قد تكون على «الاستغلال الاقتصادي» من حيث هو شر اجتماعي، ولكنها على الاكثر نقمة على «الاستغلال الاقتصادي» متى كان زمامه في ايدي الاجانب.

وقد تذهب في تفسير ثورة آسيا مذاهب شتى، لكل منها

* اذيع من محطة دلهي الجديدة في الهند.

وجه من وجاهة ، ولكن الحقيقة فيما اري واحس ، هي انها ثورة على الشعور بالاجحاف، على التمييز بين عال ووضيع، وبين ابيض واسمر ، على عدم المساواة في وضعها الدولي والانساني ، فهي ليست ثورة باسم الجدل الاقتصادي والمادي ' بل باسم الكرامة الانسانية .

فاذا اصطدمت هذه الثورة بحقيقة اقتصادية،فيها تمييز لاجنبي على وطني ، اتخذت مظهراً اقتصادياً ، واذا اصطدمت بحقيقة سياسية ، فيها إنكار للمساواة في الاوضاع والحقوق ، اتخذت مظهراً سياسياً، فايران تريد ان يكون لها ما لبريطانيا الاشتراكية من حق مطلق ، في تأميم ما ترى تاميمه من مرافقها وان صارت عرضة للخطر ، ومصر تطلب حقها ، في ان تسيطر على قناة السويس ، كما تسيطر الولايات المتحدة ، على قناة بناما - وحق مصر اوضح واقوى،لان قناة السويس قد شقت في ارض مصرية خالصة . واليابان تتردد في ان تربط تسليحها بمعاهدة الصلح، لا لانها لا تريد ان تسترد بعض ما كان لها من قوة ، ولا لانها لا تخشى القوة الشيوعية على الجانب الآخر من بحر اليابان ، بل لانهـا تأبى ان يكون على هذه القوة المتحددة سمة من فرض اجنبي .

ترتد شعوب آسيا بذاكرتها القومية الى عصور مضت، فتدرك ان حضاراتها القديمة وثقافاتها العريقة ' كانت في عهد او آخر مشارق الادراك الانساني ، في العلوم والفنون والفلسفات والديانات فتنتفض وقد اخذتها سورة الوعي الجديد انتفاضة الثورة على الاجحاف ، وتنظر الى سائر الامم من اعالي برجها التاريخي، نظرة التعالي والكبر ، وعلى ثغرها بسمة غامضة كبسمة بوذا او ابي الهول كانها تقول : إنها تابى ان تكون في مرتبة ادنى من مرتبة غيرها ، في سلم الكرامة الانسانية .

وهذا في نظري ، هو المفتاح ، لكل من ينشد تعاوناً صحيحاً مع آسيا أواي جزء منها . وقد تجد في آسيا خوفا شديداً من قوة السوفيت او توقاً قوياً الى اساليب الغرب الفنية المجدية في تكثير خيرات الارض الدنيا ، ولكن لا الخوف ولا التوق يغنيان عن الاحترام ، ومن شاء ان يعامل آسيا اليوم ، وان يتعاون معها ، ينبغي له ان يسلك طريقاً يفضي به الى نيل هذا الاحترام - طريق حسن المعاملة بين ندين .

ان آسيا اليوم عند فجر جديد متسم بيقظة وبثورة . اما اليقظة فهي يقظة ادراك لما في آسيا من طاقة مادية وانسانية، ولما في نفسها من قدرة إبداع انشأت في العصور الخوالي طائفة من إرفع الثقافات ، واما الثورة فعلى الوضع العالمي والداخلي الزري الذي لم تزل ملايين آسيا مترديه فيه منذ قرون ، وقد تكون هذه الثورة حركة ذات نظام ترتقي الى القومية الحرة المنشئة ، وقد تكون تحدياً جائحا مدمرا ، ولكن اياً كان القالب الذي تفرغ فيه ، فآسيا لن ترضى بديلا عن حقها ، في ان تفعل ما ترى ، وان كان خطأ - ومنذا الذي احاط بعبر التاريخ جميعاً ، وقوى الانسانية جميعاً ، حتى يستطيع ان يقضي قضاء الخطاء او الصواب ، على ما تفعل ؟

وعلى ان طائفة كبيرة من شعوبهـا ، كانت منبتاً لآيات من العبقرية الانسانية ، فانها كانت في عصورها المتاخرة ، برضاها او برغمها ، مهملة لشيئين هما الاساس في كل جماعة قادرة تريد ان تتخذ مكانها في عين الشمس-الطبيعة والانسان.ولن تستطيع آسيا ان تبلغ المدى في يقظتها وثورتها ان لم تحرر نفسهـا من قيد الطبيعة وترفع نفسها فوق قواها ، وتحنو عليها بالفهم والحب وتخضعها بالعقل الذى يستقصي الاسرار ويفتق الحيل ولا يرهب الاقدام على المجاهل ، اي عليها ان تنشيء من ابنائها جيلا بعد جيل من الرجال والنساء الذين يودون العلم من منابعه ، ثم يتخذونه عرشاً للعقل ، وعبداً للانسان . ويومئذ تنيلهم القدرة زمام الحريتين - حرية من تدخل الاجنبي ، وحرية من عنفوان الطبيعة . فان لم يفعلوا ظلوا عرضة للتدخل في شئونهم ، وظلت ثورتهم من اجل الكرامة كالعاصفة تضرب ذات اليمين وذات اليسار ، دون ان تتيح للمجتمع المامول ان ينشب اصوله في الارض ، ويرفع عيونه الى السماء .

يسهل على المرء ان يبصر العالم بمنزلة الدول العربية والاسيوية في ميزان النضال العالمي ، وبحقيقة ما يحتاج نفوسها من شعور دافق ، وان يدله على خير طريق يتبع في معاملتها ، وان يشير الى مظاهر تعاونها في مجامع الدول ، ولكن مقطع الامر في خاتمة المطاف ، هو كيف تنوي هذه الدول ، ان تعالج الطبيعة وان تعالج الانسان ، ففي علاجهما على الوجه الاصلح ، تنال القوة التي تتواءم مع عددها على سطح الارض ، ومع منزلتها في تاريخ الفكر الانساني ، ويومئذ تتخطى منزلة المساواة التي تنشدها بالعاطفة ، الى منزلة الرفعة التي تنالهـا بالقدرة ، فتحنى لها الرؤوس .

القاهرة — فؤاد صروف

ليلة رهيبة

بقلم محمود البدوي

حدث

منذ سنوات وكنت قد سافرت في مهمة الى قرية من قرى مركز اسيوط .. وعدت من القرية متاخراً في الليل الى المدينة وبحثت في الفنادق المحيطة بالمحطة عن غرفة فلم اجد .. فاضطررت الى ان اسير على قدمي الى قلب المدينة عسى ان اعثر على غرفة في اي فندق هناك .

وكنت تعباً منهوك القوى . وقد مضيت النهار كله في منازعات مع الفلاحين .. وكل واحد منهم يريد ان اترك له ربع الايجار لان زراعته فسدت وغيطه اكله الدود . ومع ان العزبة كانت ملك اخي والامر كان ليس بيدي فقد كنت اشفق على هؤلاء المساكين واتنازل لهم عن جزء كبير من الايجار فعلا .

ومع انهم احتفوا بي واجلسوني في ظل عريشة وفرشوا لي « حراماً » ووضعوا وراء ظهري وسادة من القطن ولكن الشمس الحامية افسدت كل شيء فقد كان البخار الملتهب يتصاعد من شقوق الارض والغبار المتطاير من ارجل الدواب في الطريق يسد الانوف.

وعندما ودعتهم في طرف الحقل وركبت السيارة العمومية التي اخذت ترض جسمي وتحطم اعصابي ساعة كاملة من الزمان كنت في حالة يرثى لها وبلغت المدينة وانا في اشد حالات التعب.

ولهذا اخذت ابحث عن غرفة باي سبيل لاريح جسمي بعد هذه المشقة

ووجدت غرفة في فندق حقير قذر في شارع « القيسارية » ولكنها كانت غرفة « مشتركة » غرفة بسريرين وشغل احد النزلاء الغرفة قبلي ونام على سرير فيها فكيف انام مع شخص غريب وفي جيبي مبلغ كبير من المال .

وقفت في مدخل الفندق متردداً وقال لي الخادم وهو يفرك عينيه:

«لن تجد غير هذا السرير في المدينة كلها..فنحن في موسم القطن .. والفنادق مزدحمة بالفلاحين ».

وكان الفندق رهيباً..ومنظر الخادم لا يبعث على الاطمئنان، ومع ان الساعة لم تتجاوز العاشرة مساء والوقت صيفاً فقد كان السكون الموحش يخيم على المكان وكانت ممرات الفندق قذرة واثار اقدام النزلاء بادية على البلاط .. وكانت الاضاءة ضعيفة للغاية .. وكان هناك مصباح كهربائي صغير يلقي ضوءاً خافتاً على الطرقة الطويلة .. وتركت الممرات الجانبية من غير اضاءة اطلاقا

وكانت الطرقة ملتوية مقبضة والسائر فيها يتملكه الخوف من شيء مجهول .. وكان منظر الخادم نفسه يبعث على الرهبة فقد كان مجدور الوجه مفرطح الجبهة ضيق العينين لئيم السحنة .

وقلت لنفسي لا بد مما ليس منه بد وسامضي الليل ساهراً .

ومشيت وراء الخادم الى الغرفة وفتح الباب واضاء المصباح، ودخلت وراءه وكان اول شيء وجهت اليه اهتمامي الرجل الآخر الذي شغل الغرفة قبلي وكان نائماً على السرير ووجهه الى الحائط فلم اتبين ملامحه .. وتركني الخادم .. واخذت اخلع ملابسي في حذر شديد .. مخافة ان يصحو الرجل النائم . وخلعت بذلتي ولبست جلبابي . ونظري لا يتحول عن الرجل وكان ضخم الجسم عريض الالواح .. وقد شغل جسمه السرير كله .

وبينما كنت اخرج محفظتي الجلدية من جيب سترتي واضعها تحت المخدة رأيت الرجل يتحرك واستدار واستقبلني بوجهه واخذ ينظر الي اكثر من عشرين ثانية نظرات ينخلع لها قلب الشجاع . ورايت سحنة رجل رهيب.. يطل الشر من عينه وكل جارحة في وجهه الاغبر. فوقفت في مكاني جامداً كالمشلول ثم تحركت دون وعي نحو سريري. وتمددت عليه وضغطت برأسي على المخدة ورأيت ان اترك النور بعض الوقت لتعود اوصالي المرتعدة الى سكينتها .

ثم لمحت وانا ممدد على السرير صرة كنت قد وضعتها على الطاولة وانا داخل وانساني الخوف والتعب ما بها . وكان بها طعام قدمه لي بعض الفلاحين وانا اركب السيارة لاتعشى به في الطريق ولكنني لم اذقه وحملته معي الى الفندق .

ونهضت وفتحت الصرة ووضعت الطعام على الطاولة .

وجلست لآكل ورأيت الرجل ينظر الى الطعام فدعوته فرفض اولا وقال انه تعشى..ولكنني لما الححت بشدة نهض وشاركني طعامي .

وسألني وهو يأكل « اسم الكريم ..؟ » « مصطفى .. »



ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

القمقم الشذري

قمقمٌ شذر شفيف الثوبِ ذو ختمٍ عقيق
وسّد الارضَ وفي الارض له عِرق دقيق
وثنى عـروته اليمنى على فـرشٍ نميق
يرضعُ النور وفي أحشـائه دَرٌّ عتيق
هو روحُ الثمرِ الأحمرِ والنار الحريق
دغدغات النسم تغريه ويغريه الشقيـق
وحمول النور تذكيه فيهتاج الرحيق
حاضن ذوب نضارٍ دائب اللحظ شفيق
حافظ للعهـد والقمقم بالعهـد حقيـق
أيها الانسان بالانسان رفقاً مـا تطيق
هذه الارض وهذا قلبها الدامي حريق

بغداد — احمد الهداوي

« منين ...»؟ « من مصر... » « باجودة ... » ثم سال وهو يحدق في وجهي « جاي لامورية ...؟» «كنت بازور نسايبي في العوامر ...»

وذكرت له اسم اسرة اعرفها بقوة جبروتهـا ورجالهـا الاشداء . فنظر الي طويلا ولم ينبس .

ثم لما اخذ كفايته من الطعام مشى الى قلة موضوعة على نضد الرخام في الغرفة ورفعها الى فمه ورجع الى سريره لينام ..

واطفأت المصباح .. وتمددت على سريري وضرب الظلام برواقه ولم تعد عيناي تبصران شيئاً في داخل الغرفة . ثم بدت خيوط ضئيلة من النور تدخل الغرفة من النافذة المفتوحة على المنور ومن شراعة الباب العليا التي تطل على الطرقة .

وظللت ساهراً وعيناي على سقف الحجرة وسمعت سرير الرجل يطقطق .. فاشتدت ضربات قلبي وتوجست الشر ورأيت ذراعه ترتفع في الظلام وتضرب شيئاً . ثم تبينت انه يذب البعوض عن وجهه .. فتظاهرت بالنوم وكتمت انفاسي . وتحركت كفه الضخمة مرة اخرة وطقطق السرير . ثم رايته يستوي جالسا. ونزل من فوق السرير ومشى في ارض الغرفة قليلا كانه يبحث عن شيء . ثم اقترب من سريري وفي هذه اللحظة شعرت بانفاسي تقف في حلقي وبقلبي يكف عن الخفقان وبالعرق يتفصد على جبيني واغمضت عيني .

وسمعته يقول: معاك كبريت؟ وحاولت ان اتكلم فخانني صوتي واشرت بذراعي الى الطاولة فاقترب منها واشعل سيجارة وعاد الى سريره واضطجع واخذ يدخن وهو صامت ولما فرغ من التدخين وضع رأسه على المخدة .

ومضيت ليلة رهيبة لم يغمض لي فيها جفن .. ولم يستقر لي مضجع وكان النوم ياخذني احياناً بضع ثوان ثم اهب مذعوراً وانظر الى الرجل فاذا وجدته مكانه على السرير اضع رأسي على الوسادة واحاول ان اغفو لحظات ولكن هيهات وكنت اتحسس المحفظة من وقت لاخر واقرأ القرآن في سري واتشهد وانذر النذر لاولياء الله الصالحين .

وفي الصباح وقبل طلوع الشمس تركت الفندق .

وذهبت الى سوهاج في عمل لي ومضيت فيها اسبوعاً .. ثم ركبت منها قطار الصباح السريع عائداً الى القاهرة .

وعندما وقف القطار على محطة ملوى .. رأيت جمعاً غفيراً في المحطة .. وهرجاً وبوليساً مدججا بالسلاح ورأيت رجلا يتقدم على الرصيف وحوله كتيبة من الجند .وكان مقيداً بالحديد ولكنه كان يمشي منتصب القامة شامخ الانف وعندما اقترب مني نظرت اليه ماخوذاً وصعقت .. لقد كان صاحبي الذي مضيت معه الليلة الرهيبة في الفندق .

ولما مر تحت عربتي لمحني وانا اطل من النافذة فتوقف لحظة ولمعت على فمه ابتسامة خفيفة .. ثم تابع سيره واركبوه القطار .

وسألت احد الواقفين على الرصيف : من هذا؟ انه اسماعيل الاشرم القاتل المشهور ...

وغاص قلبي بين ضلوعي . واخذت اسائل نفسي .. لماذا لم يقتلني الرجل وقد مضيت معه ليلة بطولها وحدي ومعي مبلغ كبير من المال .. وانا اعزل من كل سلاح .. لماذا .. الاني اطعمته من طعامي ... واكل معي العيش والملح ..

ما اعجب خلق هؤلاء الاشرار .

القاهرة — محمود البدوي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المساء الاخير

الى « ن » التي أحب عينيها

●

احقاً نفترقْ ؟
وتجربتنا خلت
من الضحك من العرق
من الحلم من الارق
من النور يأتلق ؟

غريبٌ قد سبقْ
قلبكِ له خفق
وأنا مجهول طرق
يثير لكِ القلق
في لحنكِ المتسق

ويُقبل الشفقْ
ويهبط الغسق
ونافذةٌ تنغلق
وشمعة تحترق
وطرقي يختنق

وانا ملتصقْ
ببابكِ المنصفق
كمؤمنٍ يثقْ
بمعجزةٍ تنبثق
لقلبه المنسحق

فينفتح الباب المنغلِقْ
ويلفحني عطركِ العبق
ويغمرني عطفك المندفق
ونور جبينك المؤتلق
فلا انطلقْ ولا نفترقْ

الخرطوم — يوسف الشاروني

فن الاصغاء

بقلم محمود تيمور بك

☆

لم يكن لغوا ما افاض فيه اهل الحكمة والتجربة ، من الاشادة بالصمت ، وتبيان ما له من فضل .

ولم يكن عبثاً إجماع الاولين على جسامة ما يلقاه الانسان، من عثرات اللسان!

وقد اوجزت الانسانية هذه الحقيقة الكبرى ، في الحكمة البالغة التي تقول: « اذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب ! »

وما اصدق من يقول :

إن شئت ان تكسب صداقة محدثك، فكن على الاصغاء اليه ، احرص من ان تتكلم ..

والحق ان الصمت فضيلة لا يدرك مزيتها الا الراسخون في فلسفة الحياة..

ولكن ما هو الصمت ؟

يخطىء من يحسبه عملا سلبيا ، او - بتعبير ادق - إمساكاً عن العمل .

ليس الصمت عزلة بين الصامت وما حوله ، ولا بينه وبين نفسه .

العزلة جمود وتوقف ، فاما الصمت فهو حركة وحياة، او لعله من خير الوان الحركة والحياة !

ليس للصمت معنى الا انه «إصغاء» ، وان كان الاصغاء ضروباً وافانين .

اذا عقل الانسان لسانه ، واطبق شفتيه ، فكأنما هو يهيء نفسه لاستقبال انواع شتى من الاصوات والهواتف والمناجيات .

ولهذا الاستقبال موردان :

احدهما : خارجي .

والاخر : باطني .

فالمورد الاول يوافيك بما هو خارج عن نفسك ، والمورد الآخر يصل بينك وبين سريرتك .

ولا ريب انك غير مستغن عن ذلك المورد الخارجي الاول ، ولكنك الى المورد الباطني اشد حاجة ، وهو لك اكبر جدوى .

أفاتك ان كونك الشخصي يكمن فيه مذياع عجيب ، يستطيع ان ينقل اليك ادق حقائقك ، واصدق اخبارك ، وان يقف بك على دنياك الخاصة ، دنياك الزاخرة بالخفايا والاسرار ؟

لو عرفت كيف تدير مذياعك ، لانفتحت لك المغاليق من طواياك ، ولسمعت ادق الخلجات في مشاعرك مكشوفاً عنها الستار ، مجلوة في صراحة واعتراف ..

وربما راعك ما تسمع، واقشعر منه بدنك ، وتزلزل له كيانك ، فبدوت في خزي وتصاغر ، ولم تعرف كيف تواري نفسك عن نفسك !

ولكنك على اية حال تحس بانك قد كسبت غنما بما عرفت من خفية امرك، شأن المريض حين ينكشف له من علته ما تعاصى عليه فهمه، فيعد ذلك غنما ليس بالقليل .

وما اكثر ما يكشف المذياع فيك من سيئات ومناقص ..

لتعرفن انك اكذوبة بارعة، تسترها غلائل انيقة ..

اكذوبة على القريب منك .

اكذوبة على البعيد عنك .

بل انك لاكذوبة من نفسك على نفسك!

ولكأني بك قد ضقت بهذه الحقائق التي جاهرك بها عقلك الباطن ، فرأيت الدنيا صفحة سوداء حيالك، واستشعرت الازراء بهذا المجتمع المشوب بالاضاليل، وتجلى لك زيف الجاه ، وما اليه من عروض الحياة ، شائها تافهاً لا يزن جناح بعوضة !

فلا تملك ، وانت في غمة من امرك، ثائر متمرد ، الا ان تلتمس في غير هذا المجال فرجا ، وتتنسم في غير ذلك الافق متنفساً ، فاذا بك قد ملت على المذياع تدير ازراره ناحية اخرى .. ومن ثم ترقى الى سمعك انغام موسيقية فيها رقة ولطف ، لا تفتأ تسري بين جوانحك ، تشيع فيها الطمأنينة والرضا ، وتبعث فيها الانس والمراح .

انك لتصغي وتصغي وتصغي الى هذه الانغام العذاب ، حاملة اليك في رفيفها معاني كريمة ، ومثلا رفيعة ، تجلو لك الانسانية في صورة وضيئة قد برئت من الزيف ، وتطهرت من الاثم ، وشاعت فيها روح « الحب » الخالص .. الحب في ارفع معانيه ، واوسع مراميه .. الحب في مدلوله الشامل الذي يؤتي الحق والخير على اجمل ما يكون الحق والخير .

واذن يستبين لك ان نفسك ليست كلها شراً محضاً ، ففي زواياها تكمن عناصر طيبة كريمة، فيها للاخاء الانساني مغنم عظيم .

ذلك بعض ما يوافيك به مذياعك الباطني من شتى الاذاعات ، فاحسن الاصغاء الى كل ما يدور في سريرتك ، ووازن بين ما ينتهي الى سمعك، واجتهد ان تستخلص من ذلك اسساً صالحة لحياتك .

اما ذلك المورد الخارجي الذي يمدك بما تزدحم به اسواق الحياة حولك من اصوات ، مما هو خارج عن كيانك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصي، فهو مورد لا ينقطع له ضجيج يشغل ساعات صحوك ، بـل انه ليزحم عليك ساعات خلواتك، وفترات سباتك!

وابرز ما في ذلك المورد الخارجي هو صوت اخيك «الانسان»..وان كان هذا في الحق أتفه ما ينتهي اليك من اصوات انت ادرى بما يصك الآذان من شقشقة اللسان .. فلانخ بك ناحية اخرى بمنجاة من ذلك « الادمي »الثرثار !

لتختر مجلسك في حديقة حالية بما افاءت عليها الطبيعة من طيبات، ولتحسن هنالك « الاصغاء».. فانك تحت الايك في مهبط الاغاريد !

ثمة انشودة سماوية الوحي يتغنى بها طائر صداح ، فيترسل اليك لحنها صافياً نقياً علوي الروح .

انها ترنيمة واحدة ممدودة ، تتشكل اشكالا مختلفة، تارة تعلو في حدة وعنف وتارة تهبط في خفة ولطف ، فكأنها تحمل اليك شكولا من المشاعر والنزعات، فيها الوجد وفيها اللهف ، فيها الهيام وفيها الحنين ، فيها الثورة وفيها الاهتياج،فيها العتاب وفيها السماح .. كل ذلك في لحن مسترسل موصول يزينه توافق وانسجام.

وانت تعجب لهذا الكائن الصغير الذي تنطوي حناياه الضئال على هـذا الكون الفياح من العواطف والاحساسات؟

تالله لتكسبن من وقتك ما تنفقه في الاصغاء الى هذا الشدو الرفيع ..

ولعمري انك لواجد في صوت الحيوان الاعجم ، على اختلاف انواعه ودرجاته ، صورة صادقة للتعبير الصحيح عن الوجدان ، التعبير الفطري الذي لا تشوبه البرقشة : برقشة الصنعة والتعمل ، برقشة العقل والمنطق .. فهو تعبير من القلب مصدره ، والى القلب مورده ، لا واسطة ولا حجاب .

وهنالك ذلك العالم الذي نعده لاحياة فيه ، عالم الجماد ..

ما اجدره بان ترهف له السمع ، وتوالي اليه الاصغاء ..

ليس بجماد ما ظننته بجماد ..

فانه ليزخر بالحس، وينبض بالحيوية ولكنه حس غير ما نعهد . وحيوية ليست لها مظاهر حياتنا الدنيا ..

لهذا الجماد نصيب من الحياة في جوهرها الاصيل ، ومعناها الوسيع .. فما الجماد الا كائنات عظيمة في صميمها قبسة الحيوية ، ومنها تتجسم عوالم ودنيات !

اما تاح لك يوماً ان تصغي الى كائن من هذه الجمادات ، وان يتأدى اليك ما له من وحي وتعبير ؟

اما كانت لك وقفة على شاطىء البحر تتملى امواجه ، وهي تصطفق ، مشركا في ذلك التملي بصرك وسمعك ، مازجاً فيه بين فن التشوف وفن الاصغاء ؟

هبك مائلا على الشاطىء ساعة غيوب الشمس ، وقد انبسطت على مد الافق تلك الغلالة الارجوانية اللامعة،تثير في نفسك رواقد المشاعر ، وتحيي بين جنبيك هامد العواطف .

هبك مائلا هنالك في تلك الساعة

هدية أثمن من لؤلؤة
الى هواة حياكة الصوف اليدوية
لانوفيكس
ماكينة صغيرة لا يزيد وزنها على ٥ كيلو غرام
تحوك كل قطعة بكل انواع الصوف الرفيع والغليظ
بسرعة ١٥ مرة اكثر من الصنارة ، وتنجز القطعة
المطلوبة تامة التفصيل غير مقصوصة بحيث
يمكن كر خيطانها بدون انقطاع !
تسهيلات في الدفع - حذار من التقليد
LANOFIXE
بيروت - محلات ميكرونيتر - شارع غوراهام - بناية الدكتور روضه
طرابلس - محلات دنيزا وفلي - سينما دنيا
شام - محلات عمري وحبال - شارع الحجاز

الساحرة ، وأنت مأخوذ تتطلع ، صامت تتسمع ... افلا تحس خشوع نفسك ، وتضاؤل شخصك ، حيال هذه القوى الرائعة ، حين تنتسخ آية النهار لتبدأ آية الليل ؟

ألق بسمعك الى هذه الامواج التي تتدفق وتندفع ، حتى تبلغ جدار الشاطىء متكسرة عليه ، متفانية فيه ... الا تستبين في ذلك الموج ، وفي إيقاعه الراتب المتواصل لحناً موسيقياً محكم الوضع ، لا نشوز فيه ولا اختلال ، يتجلى منه الفن في روحه الاصيل ؟

إنه ليروعك من ذلك الموج الدافق إصرار ودءوب ، في مصاولة وغلاب ، حتى ينتهي به الامر الى تفكك وانحلال فكأنه يمثل لك حياة الانسان على ظهر هذه الارض ، حين يستبد به التكالب والتغالب ، وهو دائب مصرّ حتى يطويه شاطىء الفناء !

شبيهة تلك الامواج في رحلتها من الاقاصي ، وتهالكها عند الشاطىء ، بتلك الاسراب من الطيور الجوابة ، في هجرتها من مواطنها زرافات ، وتهافتها في مطارح التربة تقتنصها الشباك !

ولربما برزت الى البحر ، ضائق الصدر فتاهت نظراتك في اكنافه الشاسعة ، وراعتك جوانبه وقد ترامت يمنة ويسرة حتى التقت بالافق في فضاء بعيد جد بعيد ... فلا تلبث ان تجد نفسك قد انفكت من عقالها واستخفها طرب ومراح ، فحلقت بك في الآفاق تجوب ارجاءها في حرية وانطلاق !

في هذه اللحظة الساحرة ، لحظة التحرر والتطلق ، تعلو اناشيد البحر مصافحة سمعك ، قائلة لك :

- حطم عن نفسك الاغلال الثقال ، واخلص بروحك من قيودها الصعاب ، واسرح في ملكوت الله الواسع العريض ، فما خلقت الا لكي تكون حر النفس ، طليق الروح !

ولعلك إن صافيت البحر في جلستك اليه ، فأنس اليك ، وطاب له السمر معك ، تجلى لك محدثاً بارعاً لا ينفد لحديثه فيض فهو يفضي اليك بما وعاه صدره من احداث الايام ، واسرار الليالي ، تالياً عليك صفحات من حياة البشرية في مآسيها الفاجعة وامجادها الرائعة ، وما تعاقب عليها من هزيمة او انتصار ، ومن نهضة او اضمحلال !

وما اوفر حظك من المتعة إن خصك البحر من احاديثه بتلك الاساطير الطريفة الساحرة ، تصف لك ما تحويه البحار من عوالم خفية غامضة ... عوالم تشمخ فيها قصور ، وتدور فيها عجائب من شئون وتصاريف ، وتنساب في جنباتها فاتنات الحور من بنات الجن !

ذلك كله بعض ما يوافيك به الاصغاء الى البحر إن أصغيت اليه ..

ولن تكون اقل من المتعة حظاً لو اصغيت كذلك الى عالم آخر من تلك العوالم التي لا تعدها في الاحياء ، اعني عالم الهواء ..

يترسل الهواء اليك نسيماً هفهافاً رخي الخفقات ، فتسمعه يناجيك بالحان الحب والعطف والرحمة ، ولا يدعك الا وقد ملأ قلبك من طمأنينة وبشر ، واراك الدنيا روحاً وريحاناً وجنة نعيم .

وحيناً ينقلب ريحاً صرصراً عاتية ، فيزف ويعصف ، كانه يلقي عليك قولة الشر والقسوة والبغضاء ، مثيراً بين جوانحك الرهبة والذعر ، فلا تلبث ان ترى الدنيا كانها تبعث عويلها في اثر الفواجع والنكبات !

وقل مثل ذلك فيما شئت مما تحويه عوالم الجماد .. فان لكل منها حديثاً شائقاً يحفل بالحكمة والروعة والجلال .

ارأيت الى الصمت بين الطلل الشاخص والرسم الدارس ؟ كيف هو اصغاء للتاريخ يبثك حديث الامس القريب او البعيد ، ويسترجع لك خوالي الحقب وغوابر الاحداث ، فاذا انت في خطفات من وقتك ، ازاء هذه الاطلال الشواخص والرسوم الدوارس ، تستجليها جديدة البنيان ، شامخة الاركان ، متخذة ابهى زينة وزخرف ، آهلة بمن عمروها من الناس ، كأن لم يترحلوا عنها ، وكأن لم تلعب بها وبهم دائرة الايام ؟!

ارأيت الى الصمت في بيوت الله ، من معابد ومعاهد ، كيف هو اصغاء الى هتفات سماوية من القدس الاعلى ، تندى بها نفسك القلقة الحيرى ، كما يندى ظامىء الزهر ، في مطالع الاسحار ، بما يتهادى عليه من قطرات الطل .. فتحس بروحك قد شملتها هزة من نشوة وانتعاش ، هي هزة الرضا والايمان ؟!

ارأيت الى الصمت ، في مدينة الصمت ، مدينة الموتى ، بين الضرائح والقبور .. كيف هو إصغاء لاروع ما تمخضت عنه فلسفة الازل ، وحكمة الابد ، من حقيقة خالدة تذوب حيالها اكذوبة الحياة ، وتتقاصر دونها طاغية النفس ، وينهار امامها جبروت الكائن الحي ، حيثما كان ؟!

فاصمت ما وسعك ان تصمت ، ولكن لا يكن صمتك ركوداً وغفلة ، بل اصغاء واعياً ينيلك اوفر الجدوى .

اصمت ما وسعك ان تصمت ، فان لم تفد من صمتك نفعاً ، فانك لا تجني منه شرا ، فما الصمت على اية حال الا راحة للحي ، وما الموت الا صمت شامل يكفل للحي الراحة الكبرى !

القاهرة — **محمود تيمور**

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

وجه بلا قلب

☆

الاستاذ الكبير البير اديب : تحياتي واشواقي

النوم فناء كما قلت لي في احدى رسائلك ولعلني قد نمت طويلا ... ولكننا ككل الشرقيين ما زلنا نريد ان نبعث حتى ولو في الجحيم، وهناك من يحلم به وهناك من يعيش بعثه في حياته الاولى

طيها قصيدة لعلها بعثا .. من يدري، ربما ليست باكثر من حلم لهذا البعث .. والمهم هو انني اعود لاقلق نومي مرة اخرى فاقلق فنائي ... خطأ لا بد منه.

لقد عشنا حياتنا قطعا قطعا ولعلنا سنموت كذلك .

بلند

وبحثتِ في عينيه لم تلقي سواه
وركضتِ خلفَ رؤاه ... لكن
ما اضعتِ سوى رؤاه
هو نفسه
ما زال يسخرُ من هواكِ ومن هواه
ويظل يسخرُ ... ما الحياه
هو نفسه، ما زالت الدنيا تراه ولا تراه
يمشي كما شاءت خطاه فلا تحسُ به خطاه

***

لا لن اراه
هذا الهوى الملعون ... لا ... انا لن اراه
انا لن اراه ..

***

يا قلبه المسكين ها هي مثلهم جهلت مداه
جهلت هواه
فتمر كالدنيا تراه ولا تراه
وتظل افتَ تش ... ما اقسى الحياه
ويظل يسخرُ ... ما الحياه

بغداد — بلند الحيدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول كلمة « متحف »

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي

اخذت تستعمل هذه المفردة في ايامنا ، ترجمة للفظة Musée الاجنبية . واصل الكلمة الغربية من اليونانية Mouseion ، المطلقة في القديم على هيكل إلاهات الفنون الفتانة، الوارد ذكرهن في « متخيلات » Mythologies اليونانيين والرومانيين الاقدمين . وكان عددهن تسعاً ، وكان اسم كل منهن Musa باللاتينية .

وقد دلت لفظة Musée ، فيما بعد ، ولا سيما في العصور المتأخرة ، على المحل المجموعة فيه انواع مختلفة ووافرة من الآثار الفنية والعلمية ، وبالاخص القديمة منها. وقد حاول الكتاب العصريون من ابناء العربية ان يطلقوا على مثل هذه المؤسسات - التي اسست وما زالت تؤسس في بلادنا ، اقتداء بالغربيين - مثل الالفاظ التالية: دار الآثار ، او بيوت التحف، او متاحف مفردها « متحف » . فهل يا ترى كلمة « متحف » صيغة صحيحة تجيزها القواعد الصرفية ؟

من المؤكد ان المراد بحرف « متحف » اسم مكان . والحال ان اسم المكان في العربية يدل على « موضع وقوع الفعل » ويبنى من المجرد الثلاثي الصحيح على وزن « مفعل » . نحو « مطبخ ، معبد ، مرصد ، مكتب » . على اننا اذا عمدنا الى المعجمات ، لا نجد فيها الثلاثي « تحف » ليشتق منه « متحف » . فلا يمكن ، والحالة هذه ، ان يقال « متحف » . اما الوارد في كتب اللغة فهو الفعل المزيد « أتحف » : اهدى هدية . والاسم تحفة ، اي هدية ، ثم البر واللطف .

واسم المكان من « أتحف » المزيد ليس « مَتحف » بل « مُتحف » . وهذا عينه لا يفي بالمرام . لانه لا يعني الا محل اتيان الفعل كما هي خاصية اسم المكان ، اي حيث تقدّم التحف ، او حيث تهدى الهدايا ، ولا حيث تجمع بكثرة ووفرة ، وتصان لمدة مديدة ، او غير محدودة .

هذا واسم المكان لا يصاغ من الفعل فقط ، للدلالة على محل وقوعه ، بل يشتق من الاسماء ، للتعبير عن وجودها في المكان بكثرة . ولهذا وزن خاص في العربية ، وهو « مفعلة » ويبنى منه شيء كثار في اللغة بناء قياسياً . دونك جملة منها على سبيل المثال : « مأسدة ، مكلبة ، مأبلة ، مبقلة ، متفحة، مرمنة مشمعة ، مسقمة ، مجدورة » وكلها مشتقة من اسماء ، ولا من افعال . وتدل ، ليس على وقوع الفعل ، بل على كثرة وجود هذه الموجودات في موطن من المواطن . مثلا « مأسدة » حيث تكثر الاسود . وقس عليها البواقي . ومن هذا القبيل كلمة « مَعلمة » التي ما زال استعمالها يزداد جرياً على اقلام كتابنا وكبار علمائنا ، والمراد بها « الكتاب الذي يكثر فيه مختلف العلوم » . وقد استحدثت لتقابل لفظة Encyclopédie الاجنبية والظاهر انها مزمعة ان تميت كلمتي «دائرة المعارف وموسوعة» اللتين استعملتا قبلها ، ولكنها لا تعادلانها من حيث دقة المعنى والسلاسة والخفة .

وعلى مثال « معلمة » ، تتفوق « متحفة » على «متحف»

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لان « متحف » لا فعل له يبنى منه . وان فرض له فعل ، فلا يؤدي حق التأدية المدلول المطلوب. لانه لا يراد به سوى وقوع الفعل في مكان ، اي الاتحاف او الاهداء. اما « المتحفة » فانها الصيغة التامة المطابقة . لانها مبنية من اسم ، وهو « التحفة » ، وتدل على كثرة وجود « التحف » في الموضع المعد لهذه الغاية. وهذا ما ينظر تمام النظر الى لفظة Musée .

على اننا لا نكتفي بهذا فنقف عند حده ، بل نزيد القضية تقصياً ، عن طريق « الثنائية » ، فنبحث عن اصل واشتقاق « تحفة » التي ليس لها من فعل ثلاثي مجرد تصدر عنه . فنقول: إن « التحفة » في اصل وضعها ، تدل على الطرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين . وقد جاء في لسان العرب « ١٠ - ٣٥٩» في صدد « تحفة » ما يلي : «قال صاحب العين : تاؤه مبدلة من واو . الا انها لازمة لجميع تصاريف فعلها، الا في يتفعل. يقال: اتحفت الرجل تحفة . وهو يتوحف . وكانهم كرهوا لزوم البدل ها هنا لاجتماع المثلين ، فردوه الى الاصل . فان كان ما ذهب اليه ، فهو من وحف. وقال الازهري : اصل تحفة وحفة. وكذلك التهمة اصلها وهمة. وكذلك التخمة اصلها وخمة. ورجل تكلة . الاصل وكلة . وتقاة اصلها وقاة »

قلت : مهما يكن من امر البدل في « تحفة ووحفة » فان اصلها من الرس الثنائي الخفيف وهو « حف » المتوسع في الثنائي المضاعف ، وهو « حفّ » الدال على القشر والقطع . ومنه معنى استدار واحدق . وحف القوم بالرجل وحوله : احدقوا به واستداروا . ومثله احفّ واحتف : استدار ، واحدق . « لسان ١٠ - ٣٩٦ » . ومن هذا الثنائي الخفيف « حف » صدر ايضاً «حاف» الشيء ، جعله على الحافة. وحاف بالمكان : استدار به . « لسان ١٠ - ٤٠٥ » ومن « حف » هذا الثنائي الخفيف . نجم كذلك « حفي » بالرجل حفاوة وحفاية وتحفاية . وتحفى به واحتفى: بالغ في اكرامه. والحفي: اللطيف ، المبالغ في الاكرام والبر واظهار السرور . « لسان ١٨ - ٢٠٣ » .

فهذا الثنائي الخفيف « حف » المتوسع في « حفّ » المضاعف ، وفي « حاف » الاجوف ، وفي « حفي » الناقص قد توسع ايضاً ، تتويجاً بزيادة التاء . فجاء منه « تحف » . بيد ان هذا الثلاثي لا ورود له في المعاجم . انما ورد منه الاسم « تحفة » : هدية . ولان الهدية التي تقدم للغير - لا سيما الاصدقاء وارباب المقامات ، قصد اكرامهم - لا تكون طبعا الا شيئاً ثميناً ، دلت مفردة « التحفة » على الشيء الفاخر النادر. ومن هذا الاسم اشتق ارتجالا المزيد : اتحفه الشيء، وبالشيء : اهدى اليه التحفة واعطاه اياها . اخيراً من اسم « التحفة » ، وجمعها « تحف » تصاغ مفردة « المتحفة » ، اي الموضع او الدار التي تجمع وتصان فيها معروضة التحف الفنية والعلمية بكثرة ووفور . وهذه الكلمة هي الاولى بالاستعمال والمفضلة على لفظة « متحف » . هذا هو رأينا . فليقبله من يشاء ، وليرفضه من يشاء . والسلام

القدس   الاب مرمرجي الدومنكي

LES CAHIERS DU SUD

•

10, Cours du Vieux Port — Marseille

Directeur - Fondateur : **JEAN BALLARD**

Rédacteur en Chef : Léon - Gabriel GROS

•

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises demeurent aussi l'une des plus jeunes

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

•

Ils publient dans chacun de leurs numéros:
des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiques étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1952 :

France, Six numéros dans l'année, frs : 1.000
Etranger, « « « « « 1.300

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعمة الحاج

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي
استاذ الأدب العربي بمعهد آسيا في نيويورك

☆

كان اول تعرفنا* بهذا الشاعر المهجري منذ ثلاثين سنة في كتاب «بلاغة العرب في القرن العشرين» لمحيي الدين رضا ، ثم في الجزء الاول من ديوانه الذي مهد له شاعر مهجري آخر هو إليا ابو ماضي بمقدمة نفيسة قال عنها : « لا يصير الشاعر شاعراً حقيقياً حتى يستنبط ويبتكر ، اما متى يصير فامر موقوف على قوة شاعريته ومقدار عبقريته . لكل شاعر آيته كما لكل نبي معجزته، وليس الابتكار ان يعدل الشاعر عن الروي الواحد ، والعروض الواحد في القصيدة ، الى اكثر من روي ، واكثر من عروض ، كما يتوهم بعض المعاصرين خطأ . فان هذه طريقة قديمة طرقها شعراء الاندلس وتوسعوا فيها ، ولكنها لم تصنع من غير الشاعر شاعراً وهذا مما يثبت ان السر في المعاني لا المباني . فاذا كان المعنى مبتكراً وجميلا ظهر جماله وجدته للعيون ان صيغ شعراً ، او صيغ نثراً ، على ان المعنى الجميل يستلزم ان يكون مبناه جميلا . فما افتتن الناس بالزهرة الا لانها تجمع الى الاريج الذكي جمال التكوين ». ثم قال : « اكتب هذه الكلمة تمهيداً لهذا الديوان الذي تسرح النفس فيه بين معان كالكواكب المشرقة ، والفاظ كدموع الفجر المترقرقة ، فقد صاغه صديقي نعمة الحاج فاحسن الصياغة ، ووفق وهو في محيط غريب الى الجمع بين ضروب المعاني البديعة والاوزان الموسيقية المرقصة ، فكان في تقليده مبتكراً وفي ابتكاره مبدعاً ، لقد سمع الناس من قبل بالشاعر المتفنن نعمة الحاج . اما اليوم وديوانه يوشك ان تتداوله الايدي فانهم سيشهدون آيته ، وانها لكما يرون من الآيات الخالدة .

وشاعرنا الجهير نعمة الحاج «الذي ينتسب اصلا الى غرزوز في لبنان» هو الآن في اوج نضوجه الفني ونشاطه الفكري ، اذ يراس رابطة « منيرفا » الادبية في نيويورك ويغذي الصحف المهجرية بشعره الجميل الذي صار يكون في مجموعه الجديد جزءاً ثانياً ضخما من ديوانه المشرق . وشعره الجديد هذا حقيق بتقدير اوفى لانه اكثر تعمقاً وتمكناً من مرامي الفن . ومع ذلك استمع الى هذا الاديب العصامي المهاجر، والى هذا الشاعر المثالي النبيل الذي ما يزال يكافح دون توان في خضم الحياة – استمع اليه واصفاً « الشاعر » في مستهل الجزء الاول من ديوانه منذ ربع قرن او يزيد : –

فتى رق من فرط الشعور شعوره فزادت بلاياه وقل سروره
كثير الاماني لا يزال مفكراً تدور به آماله وتديره
على محور لا يستقر قراره كما انها لا تستقيم اموره
فآنا يدك اليأس ما قد يشيده وآنا باعلى الجو تبنى قصوره
يرى باسما والدمع ملء جفونه فيشكل فيه حزنه وحبوره
وتجتمع الاضداد فيه فيلتقي باشماره حلم النهى وغروره !

ولا ريب ان هذه القصيدة العصماء تحليل نفساني صادق لشاعرنا ذاته. ولئن كان اسلوبها كاساليب الكثير من شعر

* حديث اذيع على محطة صوت امريكا في نيويورك وخص به «الأديب»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الديوان مدرسياً واقعياً، الا انه يزدان بالسلاسة العصرية كما نرى في شعر أبي ماضي. وقد ظفر الشاعران بحفلات التكريم، وكان الاولى ترجمة هذه الحفلات الى اخراج الجديد من شعرهما في ديوان جديد وتكريمها تكريماً معنوياً باقياً حيث لهما وشائج متينة من النشأة والترعرع.

وفي الجزء الاول من «ديوان نعمة الحاج» مفاتن كثيرة ليست كلها اتباعية الاسلوب، ومن مميزات شعره تحليلاته النفسية النافذة، وقصائده في هذا المجال اشهر من ان تعرف. ومن امثلتها قصائده «هما خطتان» و«زفرة اليأس» و«عصفور في قفص» و«الى الروض» و«حياة الشاعر». وبينه الكثير من الشعر الوصفي وشعر الطبيعة والشعر الوطني وشعر المجتمع والاخوانيات التي تمثل نفسه الصافية الحلوة في شعر عاطفي رقيق عذب. وقصيدته «ابو العلاء المعري» من خير ما قيل في شاعرنا الفيلسوف. اما قصيدته «تحية نيويورك» فمن لطائفه المرموقة التي تذكر في مجال المقارنة مع قصيدتي رشيد ايوب ونسيب عريضة، واذ يكتفي رشيد ايوب بالوصف غالباً مع سرد لبعض تجاريبه في عاصمة العالم وتمجيدها، وإذ تفيض قصيدة نسيب عريضة بالسخط والسخرية «وان ختمها بالتفلسف المتفائل وتقدير فرض الحرية الامريكية» نجد قصيدة نعمة الحاج صحة كشخصيته، حاملة لانطباعات الرضى الحلوة فيقول:

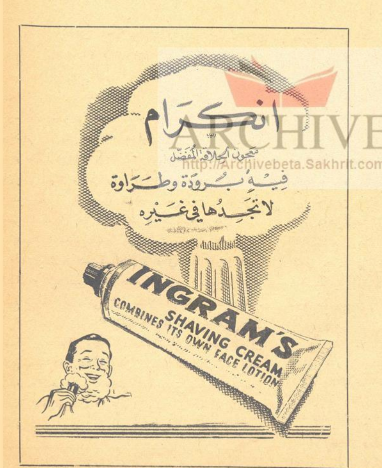
بعد طول الغياب عدنا اليك
يا «نيويورك» فالسلام عليك!
ما هجرناك عن قلى، غير أنا
احرجتنا بك الظروف فبنا
انت منا مع المنى حيث كنا
مسرح الفكر في مدى شاطئيك
قد قضينا من قبل فيك زمانا
رطب القلب ذكره واللسانا
ما حيينا مخلد في نهانا
فهو روح الجنان من راحتيك!

الى آخر هذه القصيدة الغنائية العذبة المشبعة بروح الوفاء.

وفي الديوان الكثير من شعر التأمل مثل قصيدته «فراشة في المدينة»، ومن الشعر الغرامي الليريكي مثل قصيدته «على شاطىء البحيرة» التي يقول في مطلعها:

بقربك تحلو لي المدامة في الكاس
وفي البعد تذكارات حبك جلاسي!

ولا ريب ان الجزء الاول من هذا الديوان القيم هو نعمة الحاج في شبابه، مصوراً افراحه واتراحه وكفاحه، ولو ان هذا الكفاح ما يزال متواصلا، فليس فيه ذرة من التصنع ولا من ملامح الشخصية المزدوجة. وفي ميزان الانتقاد يمثل هذا الديوان ايضاً عصر الشاعر وبيئته الاولى، وهي بيئة «الرابطة القلمية» ويمثل تفاعله معها ومع الوسط الامريكي الحر.



ان نعمة الحاج لمن اولئك الشعراء القلائل الذين يجتمع فيهم وشخصيتهم في شعرهم . وأصالة شخصيته ناصعة في تعابيره، لان شعره ترجمة حياته بالاسلوب الفني الذي يتذوقه ، وهو اسلوب رومانسي حيناً واتباعي حيناً آخر ، ولكنه ليس محاكاة متعمدة لاحد. واغلب نقاد الشعر الان لا ينزع الى التحيز الذي كان سائداً قديماً من إيثار مدرسة على سواها، بل اعتبار سواها في حكم العدم ـ ذلك لان الجمال مشاع وان اختلفت مظاهره وصوره . والشعر لا بد ان يكون تعبيراً عن التأثر وحرارة الانفعال . وصحيحه ما كان مطبوعاً اي مجانباً للافتعال ، وخيره ما كان منطلقاً متسامياً صافياً حياً مستوعباً للخيال وللرؤى والاحلام وللفكر معاً . ولكننا نناقض انفسنا فنحتكر لانفسنا الحكم ، بل نحيل الادباء على مثل كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» للسحرتي اوكتاب « الاساليب الشعرية »لابراهيم العريض، ليروا بانفسهم المذاهب والاساليب الشعرية المنوعة التي لها اشياعها في اقطار شتى ولهم ايمانهم ـ عن تذوق وعن دراسة مقارنة ـ بما في تلك المذاهب والاساليب من جمال فني . والاديب اوالمتأدب هو الخاسر اذا ما انساق الى الاكتفاء وقنع بضيق الافق وتعصب لنزعة معينة فلم يتبين جمال ما عداها . وما كان الشعر يوماً بالمحصور في الاخيلة المركبة المزركشة وحدها الا اذا حصرنا الحياة فيها ، وهذا لن يكون .

استمع الى هذه الابيات الوصفية الرائعة لنعمة الحاج ، وعنوانها « الجبال في الخريف »*:

وقفت على ذرى جبل سما صعداً الى السحب
أكاد إذا مددت يدي تلامس مطلع الشهب
هناك لناظري انتشرت روائع اعجب العجب
جبابرة قد انتصبت ممردة على الحقب
بقامات مخضبة وهامات من اللهب
مصففة بسلسلة صفوف العسكر اللجب
باردية محبرة كطنفسة على قبب
فوارع تكتسي شجراً كساء الارض بالعشب
اغار على نضارتها الخريف فعاث بالقشب
واذبلها فتوجها بتيجان من الذهب ؟

فهذا الوصف الغريد لمنظر فريد في امريكا يتميز بالاصالة الفنية تميزه بالجزالة الموسيقية وقد تبرج فيه الخيال واختال ، ونبض بحيوية عجيبة وبرؤى غريبة ، وفيه ما فيه من حب الطبيعة والاندماج فيها .

ثم تأمل في هذه الابيات الروحانية المتصوفة الموسومة «الى روح شاعر »(١) :

حلقي في الفضاء فوق الغيوم وامرحي بين نيرات النجوم !
قد تخلصت من همومك في الارض ، وخلفتنا اساري الهموم
يا ابنة النور والسديم هنيئا لك إذ صرت في حماك القديم
رفرفي وانعمي بجوك واشدي قد تحررت من قيود الأديم
لم تعودي غريبة عن محيط عشت فيه للحب والترنيم
كنت فيه غريبة عن كثير من اهاليه غير نزر كريم
رب ما خيل نقمة من غشوم لم يكن غير رحمة من رحيم
انت في عالم من الروح فيه يتساوى المجهول بالمعلوم
مطلق كل ما عليه ، وما فيه طليق من المرير الأليم
فادغمي كل ذرة منك في الذرات منه وغلغلي في السديم
واطلعي في الشموس نوراً وفي الامواج شدواً ورقة في النسيم
وورودا في الروض ينشق منها من يحب الجمال طيب النعيم

***

كل نفس لكل حي سماء هو منها في غبطة او جحيم
والشعور الرقيق في كل نفس صلة بين راحل ومقيم !

ولشاعرنا الكبير من الشعر الانساني الواسع الافق نماذج بديعة شهيرة ، وكذلك من الشعر الوطني وشعر العروبة ، بله شعر الطبيعة الفلسفي ، ومن امثلته قصيدته المعروفة « اوراق الخريف المتناثرة(٢) ».وخير ما نختم به هذا الحديث الخاطف عن شعره وشاعريته ان نذكر ابياته الحكيمة « لذة السماع » التي تعد من الطف شعر التأمل. قال :

كنت قبلا اقول كي يسمع الغير فاصبحت مصغيا اتسمع
حبذا لذة السماع ففيها تنتشي الروح والجوارح اجمع
نشوة تجمع النقيضين شجواً يرقص القلب بينما العين تدمع
فانا رابح وليس الذي يطرح من ماله كمن راح يجمع
واذا راقني الكلام تهللت وان لم ـ كأنني لبت اسمع
لا اباهي ولا اشنع إن غيري باهى بما يقول وشنع
من تأنى نال الذي يتمنى ولكم بات نادما من تسرع
وأرى الناس ذا يضر بما يأتي، وهذا بفعله جاء ينفع
بعضهم بالكلام يبدع، والبعض اذا ظل صامتا كان ابدع!

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

* جريدة «السمير» النيويوركية بتاريخ ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

(١) جريدة « السائح » النيويوركية بتاريخ ٢٧ آذار سنة ١٩٣٠.
(٢) جريدة « السائح » بتاريخ ١٢ ايلول سنة ١٩٤٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونهامس

الشبحـان ، وكان في همسهما تاريخ امة.

وتصاولا، جلس الاول ووثب الثاني ثم عادا الى الهمس ، في تلك الزاوية المظلمة ، زاوية جده الاعلى .

ـ أو لم يترك لك جدك الا تلك الزواية ؟؟ او لم يدع لك ، بل لنا ، غير هذا الـكِـسر ، تتزاحم فيه بالاعين والقلوب ولا تدخله الاجسام الا لتنتثر اشلاء ...

إليكَهُ ، أجل إليكه ، يا ابن ابنته، اليكه ، واخرج منها به

***

... وسارا في الطريق ، طريق الانسانية الموحش ، شبحان ما عرف خيالهما سر الرهبة ...

أحدهما يستفّ ترب الارض، والثاني يتخطف نجوم السماء. وقال الاول للثاني

أجل قال من يستف ترب الارض

خذ ، فاجابه ـ شبعت

قال تناول ... فقال استنزلت

قال بطرتَ يا اخي ؟؟

فاجاب بل اتخمت

***

...وأخذا يضربان، وترتعش الارض تحت اقدامهما، هذا يهزها، وذاك يرجفها وقال الذي هو أدنى للذي هو ابعد :

ـ خلفتني يا اخا العرب، يا ابن اجدادنا العظام. فاجابه، ومن عينيه تتساقط نار ونور

ـ سبقتك يا اخا البين ، يا ابن الكنز الضائع ، يا نضو الضلالة .

***

...وجلس الاول على قارعة الطريق، يستف الترب وينهش يديه ، لا ضيق ولا تخمة .

وجرى السابق في طريقه؟ صعّد في الجبال وانحدر في مسارب الوادي، وكان يدرس جنادل الارض فتتطاير من تحت قدميه نجوماً تتعلق في كبد السماء .

...وكان يضرب بعصاه الجبل، فتنشق فيه شعاب وتجري أودية ، الى ان اقتعد القمة ... قمته التي اتخذها سكناً ، عندما نبذ ذلك الكسر ، كسر جدنا الاعظم، بل جده المدّعى .

... وترنم في نفسه النغم ، وتحركت انامل روحه ... فارتجفت الاصوات .

ضحك وبكى

فقهقه الرعد وانسكب المطر ،

ثم نام

فاقلعت السماء ، وبلعت

حطام ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الارض ماءها ، فنضب وجف .

***

... وقام وهو في شبه حلم ، راقب الشمس في انحدارها على غارب الافق ، الافق الغربي ، افق الموت ، والظلمة تشد انفاسها نفساً نفساً، وتراقصت اشباح النهار تلاحقها اشباح الظلمة، على وجه غاض ماؤه

ـ ستنحدر شمسي ، وتتركني في ظلام بهيم .

... أيتها الشمس ، ستغربين، ولكن بيدي هذه ، سارجعك الى صدر امك ، ترضعين من ثديها ، وساعلقك بيدي، بل باصبعي الصغير هذا ، الى جانب اخواتك النجوم .

ومضى ، وفي يديه من الجبل قطعة . كلما جلس بها على الارض ، استحالت بين يديه ذهباً ، وارتعش الذهب بين يديه وتسلل من فروج الاصابع فاذا به تمثال يا لرهبة النضار .

ـ تمثال من أنت ايها المتألق في وهج الصحراء .

ـ انا تمثال الوحش الذي قتل امي ، ورماها في يد العدو شلواً وراء شلو .

***

... ورن الذهب ، وكان في رنينه تاريخ امه .

... ويجمع الرنين الاشلاء ، فتلتف حول ذلك الذي تحدى الارض وتحدى السماء . وتضيق عليه الخناق ، حتى يكاد يلفظ بين يديها انفاسه ، لو كان في صدره انفاس تلفظ.

***

...وأخذت الاشلاء تستوي اجساماً، ليست كأجسام الاحياء هي، ولكنها من دود الارض صنعت، ومن هوامها ركّبت

ـ هذه الدودة التي دستها بنعلي هذه.

وداسها اخي ابن أمي

وداسها اخي ابن امنا

... وهذه الدودة تستوي ، ويشتد عودها وحشاً خرافياً من وحوش الاساطير بامر من قال كوني فكانت . بامر هذا التمثال ، او ساكن التمثال .

... وتهجم تلك الوحوش الديدان، او الهوام الوحوش، وتلتهم الارض وابناء الارض. وتأكل السماء وما تعطيه السماء.

***

... اما الرجل المتخلف ، فصار دودة تأكل مما تخرج الارض .

... اما الرجل المتحذى، فقد تسلل

شهر عابث

☆

ومررت بالجنينة ...
باسمك ايتها الواقفة
وحدها .. متى تعبرين ؟؟
... لم تزل بين الورد، قائمة على الحمد
في رحمة الفصول ، تحلم في الانتظار ،
وتمد انفها الطويل تشم من كم النسمة
العابرة ، انفاس آذار ، فتكمي رأسها في
انعطاف الذكرى . ثم تلف كالعصافير
تلافيف ايامها تحت جناحيها المنبسطين .
يا بنفسجتي الحائرة ، طال وقوفك
هناك ، تحت ظل الرخام، في الباب الشرقي
والبنفسج ودع وداعه .
الم تر كيف توحشت النسماء ؟؟
وكيف طوحت بك الرياح الهازئة ؟
وأنت ،
من فوق السور ،
تطاولين بالانف ، كانك تستنشقين
عبيراً هادئاً بعيداً يهف كالدعاء من وراء
الجنينة .
ايتها الصغيرة الواقفة في الباب، في العتبة،
ان آذار لغدار ...
لقد جاسك في غمرة الورود العالية ،
وهو لما امتلأت رئتاه بالضوء والطيب ،
انتشى حتى ضلت عينه الطريق
وحسب الورد قطفا وذبولا ، ولم يعلم ان
السخاء حرمان ،
وان الارض المخصاب كالارض
الموات، تأكل اصول اغراسها الوارفة ،
وان اهالي الجنة قل ان يشتاقوا في
الثواب الى سقسة الماء .

***

يا بنفسجتي الحائرة ،
لقد قست عليك انامل وردة بعد
ان قست انامل شهر الورود ،
ودت، تحببا ، ان تقبل اوراقك ...
غرزت الاظافر في ضلعك ، وهي
تضمك حنانا ،
لكنها نسيت ان الشوك ملء ضلوعها ،
ويحها ... لقد اوصدت مصراعي
الباب على العتبة ، اشفاقاً عليك من
الرياح الباردة ،
فسحقتك بين مصراعي الباب القاسي .

***

آذار ... ويحك آذار ،
كانت جنينة من البنفسج وديعة ،
تحيا ، بين المرمر والرخام، وعين الشمس
والحديقة البحرية على ماء الوفاء وتربة المحبة
آذار ، ما اقسى قدميك ، تجوس بين
دور الناس ، تعلم الورد كيف يكون
اذى الشوك .

***

رأيتها صامتة ساكنة ، تسائل في
نفسها الما ووحشة ، كلما مر اسمك في بالها
انتفضت كما ينتفض الجفن من الغضب .
بسطت يدي لها ، فالقت على يدي
نظرة من البغضاء، ليتها كانت على وجهك ..
ما اقل كلامها ،
ما اكثره في الصمت ...
لم تذرف دمعة ،
لم اسمع لها آهة ...
حملت في سرها جراحها ، وارخت
سجف ليلها صامتة ... ونامت معي في
هذه الزاوية الموحشة تمحو اسمك من
سجل الحدائق .
ايه آذار ...
يا مدعي الوفاء في حراسة البنفسج
في زوايا الجنائن ، عند دور الناس ...
مالك تواريت ؟؟
اين عينك ترى ما صنعت يدك ؟؟..

***

شهر عابث ووردة عابثة ، جاسا في
الليل حديقة البنفسج ... ايه آذار ...
لن ينبت الورد والبنفسج مرة ثانية
في اسارير جبينك ...

القاهرة — سمية حموي نجم

من بين المخالب وسار الى ارض هي اخت
الارض والى اناس هم اخوة الاناسي ،
وجلس يترقب مواعد الشفاء، شفاء الغلة،
وقتل الجوع .
وهو هوه .
والايام تمضي
وهو هوه .
... وكان ان نهش الجوع معدته ،
وان كان جفت روحه على حر الظمأ .
فانقلب وفي نفسه الف لعنة .
... الف لعنة على صاحب ذلك الكسر
الذي يدعي انه ورثه عن جده .
... والف لعنة على تلك الارض التي
هي اخت الارض ، وعلى الاناسي الذين
هم اخوة الاناسي .
لعنة ما انقذفت من جوفه الصادي الا
لتحرق ...
ولكن ابن الهشيم ؟؟؟
لعنة ما لفظتها نفسه الحرى الا لتهدم ..
ولكن ابن البناء
لعنة حسبك انها حشرجة مظلوم
وللحشرجات في سمع السماء ، صدى
اي صدى ...

القاهرة — محمد يوسف نجم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن ... لماذا ؟

☆

الى اختي نازك

•

لابراهيم العريض

•

البحرين

☆

لماذا تودّين قبل التململ ان نفترقْ
وألا أعير لعودكِ اذناً وان يصطفق
وهذا الغرامُ الذي كان يُرضعنا كاسه
ويبعثُ كالنار في ميّت القلب احساسه
يرف علينا
فنغمض عينا
ونُنكره رغم هذي الحرق
ونخفت في القلب اجراسه

***

أما ظهرتْ في خضم الوجود بنا موجتانْ
قضى البحر ألا تحسّا التلاطم الا ثوان
وللريح ما حولنا ـ حيث طارت بنا ـ دمدمه
وقيل لنا ان تألق برق فما أكرمه !
يضيء الوجود
لأقصى الحدود
فبان لذاتي وذاتك شان
فهلا لقطنا معاً أنجمه

***

سلي كيف من بعدنا الشوق يبقى على حالهِ
وقد لا تطول بموجدنا حيرة الواله
فقد ننتهي قبل ان تريك الريح انفاسنا
وقد لا نلمّ الى سجدةٍ غيرها باسنا
فما ضرهُ
ـ وقد سره
غداةَ خطرنا على باله ـ
لو انّا جمعنا لها راسنا

***

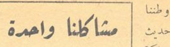
وفي شفتينا ـ تقولين ـ لحن كوقع الوتر
توقعتِ في الليل ان يخفي السر حتى السحر
فما لليالي تبوح وأنجمها شاهده
بأن حياتكِ مثل حياتي بلا فائده
وطرف السواد
الذي لا يكاد
يحلم الا بعمر القمر
يعود بأعصره البائده

***

أبالبردِ تشعر من داعبت شهباً بالبنان
أيغمرها الخوف من جاء يسعى اليها الزمان
هبينا غريبين ... باعد ما بيننا كل شي
أليس ـ فديتك ـ أزهار فنك ملء يدي
خذي من صلاتي
فان حياتي
ربيع يجدده طائران
ستحيين للحب ما انا حي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





مشاكلنا واحدة

بقلم صدر الدين شرف الدين

في لبنان: ذلك الجزء* من وطننا الاكبر، كثيراً ما يشغلنا حديث هذه الحياة بين مشاكلها المتشابكة ويؤودنا الجدل في مفهوماتها المتصارعة أهي مادية محض ؟ ام هي روحانية محض ؟ ام هي مزاج من هذا وذاك يأخذ من معطياتها وزناً يسيره لاصلاح الحياة فيمشي بها وسطاً بين الافراط والتفريط ؟ .

على ان جهدنا المرهق في هذا كله لم يؤد – في الحق – بنا الى نتيجة مرضية ، لان الجهد لم يزل حتى الآن نظرياً ، إن وصل الى شيء من التنظيم في اطار المعرفة، فانه لم يصل الى حد الانتظام في دائرة العمل والانتاج ، وبديهي ان التنظيم اذا لم يتحرك بطبقات مجتمعة في تحقق وانبعاث ، ولم تتحرك به هذه الطبقات في انقياد وطواعية ، كان تنظيماً عقيماً ، وكان وجوده – اذن – يساوي عدمه ، لذلك كان مجتمعنا حتى الآن عاطفياً تصورياً ، يكتفي بالحماسة للراي، ثم يحيى في واقعه عكس رايه، كما ترى – مثلاً – في مسلم اليوم هذا الذي يعتقد الاسلام ويعيش مخالفته !

وبينما يؤلمنا اشد الالم ، ان ينصرف جمهور الناس متناحرين – كما كانوا – اوزاعاً بين مذاهب وآراء وعصبيات مختلفة، يسرنا ان الحس «الواقعي» اصبح نابضاً في نزعة كثيرين من مفكرين وموجهين، وعادت الحاجة بناء على هذا تخرج بالناس من الاذهان القديمة الى عرف متطور ومتبلور بعيد النظر بكثير من المواضعات العتيقة والحلول الاجتماعية مما كان يسخر تسخيراً انتفاعياً، يغرر بالكثرة في سبيل مصلحة القلة. ويضحي بالجماعة في سبيل رفاهية الافراد.

وبعبارة اخرى اصبحت الحياة بمعناها الدقيق الصحيح، غاية الانسان في نظر كثيرين طفقوا يتنادون الى الاعتراف بالارض في ظل «الله» – وهو رمز الكل والاسوة العادلة – بعد ان كانت الارض سبة ، او سبباً للسباب والتنابز واثارة البغضاء .

ومعنى هذا ان الشعور بدأ ينتقل من طوره الشخصي الضال، الى معناه الاجتماعي الامثل ، فيطالب بحقوق «انا» اي الفردية المتحيزة الضيقة، عن طريق سعادة الكل ، اي عن طريق الشمولية الاجتماعية السمحاء .

هذا الحس، وان لم يشمل حتى الآن – ظاهرة تسر، وانما كان ظاهرة سارة، لانه مرحلة تليها مرحلة الاطمئنان والعمل، ولا ريب ان النظرة من بحث العدالة مثلاً، او «القضاء والقدر» او مزايا التعاون ، او تأمين الرغيف، لا ريب في ان النظر من بحث هذه المشاكل ، الى خدمة الحياة، تتحول بقوة هذا الحس فتكون عملا في النهاية، يرفع عن الناس كثرة مخاوفهم التي تفسد نظمهم، ويؤدي الى ضمانات يجد العامة بمقتضاها مطالبهم من «المساواة» وفق حظوظهم من الاعمال والكفاءات .

اقول هذا عن لبنان، ولا ازعم انها مشاكله : كل مشاكله، او مشاكله دون غيره من البلدان ، ولكن عهدي القريب بهذه الدار العزيزة – البحرين – من بلادنا ، لم يقفني على المشكلة التي ينبغي ان ابعث صداها ، او اشارك بالقول في حلها .

ثم انا لا ازعم ايضاً ان هذه المشاكل غريبة عن هذه الديار، فقد اعلم ان المشاعر الانسانية حين تتأثر اساليبها ببيئاتها الطبيعية فتختلف تتأثر كذلك بفطرتها البشرية فتأتلف، اي انها تتفرق شكلا وتتحد روحاً. وقد اعلم ان عصرنا الآلي الساحر اصغر رقعة الارض وداخل بين افاقها ، فيسر لهذه المشاعر ان تتقابل وتتجاوب وان تتفاعل ويرى بعضها وجهه في مرآة بعض .

أضف الى هذا او ذاك ، او اجعله قبل هذين ، ان لبنان والبحرين ، اخوان في نسب امة متحدة اللسان ، متحدة التاريخ متحدة الوطن ، متحدة الامال ، متحدة الالام ، ولا معدى في حال كهذه عن اتحاد المشاعر ، فهب اني لم ار البحرين من قبل، ولم ابت فيها حتى هذه الليالي القصار ، وهب انني لم اعرف منها الا المعرفة العامة المجملة الغامضة التي لا تطلعني منها الا على انها ارض عربية يسكنها قوم من العرب والمسلمين ، هب هذا كله ، فانه وحده يكفي لان يفتيني دونما تردد بان التحدث عن مشكلة في لبنان ، ليس غريباً عن بسط الكلام في مشكلة «بحرانية» . وقل مثل هذا عن كل ارض عربية .

الخلاف

والآن يبدو لي ان التحدث عن «المشاكل» : بصيغة الجمع عمل إن روعي فيه المنهج اوقفنا في هذه الكلمة امام احد امرين: الاختزال الى حد العمل الفهرسي، او التبسيط والافاضة، والاول غير مفيد لان الاختزال لا يزيد على كونه عداً بحتاً يجرد البحث من قيمه الفكرية والتوجيهية المنظورة في ندوة كريمة كهذه – نادي العروبة – يدار فيها القول ادارة واعية. والثاني غير مفيد ايضاً، لانه يعرضنا الى الاطالة لا يثبت لها الاصغاء في موقف واحد.

ازاء امر من هذين ، او ازاء كلا هذين الامرين ، رأيت ان اختار من جملة المشاكل، مشكلتين تترابطان في ذاتيهما باعتبار ان ثانيتهما اهم اسباب اولاهما في واقع الامر ، ثم ترتبطان اشد

* القيت هذه المحاضرة في نادي العروبة بالبحرين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الارتباط بحياتنا الواقعة وبما ننشده لها من الاصلاح والتقويم .

وهاتان المشكلتان هما : ١ ـ الخلاف. ٢ ـ سوء التوزيع .

ونحن من المشكلة الاولى نقف الى حمى عجيبة تستبحر ثم تستبحر حتى تكون البغضاء في ظلها قياس العمل في حياة الغيث فيها المقاييس الغاء ، فاذا الخلاف تناحر لئيم على صعيد الدين ، ينقسم في القمة الى اديان، وينقسم في السفح الى مذاهب وينطلق من طرفيه في مسالك واودية لا تواصل بينها ولا لقاء !

واذا الخلاف تناحر على صعيد المبادىء والاحزاب ، كما هو على صعيد الدين،تدابر اشياعه وفرقه دون تواصل ولا لقاء ايضاً!

واذا الخلاف ـ دون ذلك ـ تناحر ايضاً على صعيد الاهواء والمنافع ، ولا تواصل بين شعابه ولا لقاء كما ينبغي !

هذا الوجه المنكر الكريه المتقيح هو الوجه الصحيح لواقع الحياة عندنا . اما تجاهل الداء ففضلا عن كونه نقصاً في كرامة العقل ، انه لن يكون علاجاً في طب ولا منطق ، لذلك كان علينا ان نكشف عنه انواع الكشف : جساً باليد ، واصغاء بالسماعة وتوسلا بالمجاهر ، وتوصلا بالتصوير كي نقع بمثل هذه الدقة وهذا الاستيعاب على اصابة التشخيص . باعتباره اساساً للعلاج . وانها لجريمة ، جريمة اغتيال امة ، ان نترك هذا الداء يتغلغل فاتكا في أوصالها، واقفين منه موقف غباء يوهمنا ان بين مركبات الصحة تركيباً اسمه : تجاهل الداء .

ومن هنا كان لزاماً ان ننظر ـ في روية ـ الى هذا الخلاف المحموم الذي يفسد علينا مجتمعنا وسع الفساد ، وينغص حياتنا جهد التنغيص ، هل هذا الذي نختلف فيه هذا الخلاف المخرب، يقتضينا بذاته هذا التناحر ؟ام اننا نحن الذين نسخره ـ ديناً وحزباً ونفعاً ـ لنزعاتنا الانانية التناحرية ؟. وهل الخلاف شر كله ، فهو ابداً ضغينة وحقد وعداوة ؟ . ام فيه ما هو كذلك وما هو خير وفائدة وارتقاء ؟

وقبل ان اجيب على السؤال الثاني ، احب ان ازعم لكم ان الاديان والاحزاب ، وحتى المنافع لا تدعونا بالاصل الى شيء من هذا الشقاء الذي يدعونا اليه مستغلوها ، لانها جميعاً من حيث المبدا ، وعلى ضوء اسبابها وموجباتها ، انما نشأت لتكون عوامل استقرار ، ودوافع حب ، ووسائل تعاون ، ولكنها منيت بحماتها ، فكانوا افاتها ، ثم اصابت العدوى هذه عامةالناس فاذا كل حزب بما لديهم فرحون .

بعد هذا نعود الى السؤالالثاني لنحدد مفهوم « الخلاف » تحديداً يعيننا على فهم الحياة . فانه لا شيء اشد ضرراً واخلالا بها من اختلاط المفاهيم واساءة استعمال المعاني .

« الخلاف » امر واقع في حياة البشر لا ريب فيه ، يفتينا التاريخ ، وتفتينا علوم الاجتماع والنفس والاخلاق والاداب ، بانه حقيقة بشرية رافقت طفولة الانسان ، وستظل ترافقه في مراحل عمره الى ما شاء الله،فهي اصيلة فيه اصالةغرائزه وطباعه .

وهي حقيقة من وضوحها بحيث لا تحوجنا الى التماس ادلتها في اقوال العلماء ، او امثلها في تجارب التاريخ وسير الناس ، ولكن وضوحها هذا هل يسقط عنا شرحها والتفريق بين ما يختلف من مفاهيمها ؟

اذا كانت المعرفة ضوءاً يلقى وكان العلم جندياً يمشي في ركاب الحياة ، كان حقاً ـ فيما اظن ـ ان نعرف مصادر هذا الخلاف، لنعرف انواعه ولنعرف في نهاية المطاف وجوه الضرر والنفع فيما يعرض لمجتمعنا من صوره والوانه .

ويبدو لي الآن وعلى العموم مصادر شتى يصعد منها الخلاف متنوعاً حسب تنوع اغراضه وغاياته .

١ ـ فالخلاف بين الافراد تحدثه الامراض النفسيةوالعيوب الخلقية حيناً ، كالحسد والوهم والانانية .

٢ ـ وتحدثه المنافع حيناً آخر، ولا فرق في هذه بين المنفعة المادية كالمال . وبين المنفعة الادبية كالمركز .

٣ ـ ويحدث الخلاف احياناً كثيرة من اختلاف الاذواق في المقاييس الجمالية ، وتباين الافهام في طراز التفكير .

وتستطيعون انتم الارتقاء من هذه المصادر الى ما يشبهها في الخلافات الفردية ، كما تستطيعون تصور امثالها في الخلافات الجماعية : قبلية كانت او اممية ، فالدائرة الضيقة ـ في الاعم الاغلب ـ مثال يتسع في الدوائر الكبيرة ثم لا يزداد زيادةجوهرية. وقد يكون من تمام الفائدة ان نشير الى ان هذه المصادر كحقائق ثابتة في جوهرها البشري ، تختلف مظاهرها باختلاف عواملها المتأثرة تارة بالاساليب الذاتية،وتارة اخرى بطوابع هذه العوامل: من بيئة طبيعية ، او بيئة اجتماعية، ومن تربية او وراثة ، ولهذه الاشارة اهميتها في ترتيب اثار «الخلاف» ومعرفة مزاياه : من عنف او هوادة ، ومن عمق او سذاجة ، ومن عناد او تسامح .

وما اظنني محتاجاً الى التمثيل لايضاح الفروق بين هذه الفروع على انني مضطر في هذا الموقف الى الاختصار والتعميم .

***

تلك مصادر ثلاثة لم اوردها على سبيل الحصر ، وانما اوردتها على سبيل التنظير ، واذا اردنا ان نستعرض اغراضها على هذا الضوء ، رأيناها تختلف اختلافاً يتراوح بين النفع والضرر .

١ ـ فالخلاف ان كان مبعثه المرض النفسي ، والعيب الخلقي فغرضه التنفيس عن شدة جرثومية بشدة مثلها ، كالحك ـ في المثال

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

المحسوس ـ بالقياس الى الاجرب .

وواضح ان المصدر والغرض في هذا النوع كلاهما من الرواسب الحيوانية التي لم تهذب ، ولا ينبغي اليأس من شفاء هذه العاهة، فالازمان ـ بكسر الهمزة ـ لم يوئس كثيراً من النيرين قديماً وحديثاً من علاجها، وهناك جملة حوادث ردت سقم هذه العلة الى صحة وعافية

٢ ـ والخلاف الذي ينشأ عن المصالح تختلف غاياته وتختلف الاحكام عليها باختلاف المصالح ذاتها : هذان متداعيان اختلفا على عقار ، واختلفا في دين ، اوارث ، او حق ما، او حكم ما.

الغاية في مثل هذا ـ وهي تحصيل حق او اثباته ـ مشروعة ومردها القانون. اما عيبها فالتحيف وهو عيب خارج عنها وعن الخلاف، وانما هو في الواقع عيب الظروف التي لم تحترم القانون فاذا فرضت هيبة الحكم شفي المريض وانتهى الامر !

وذانك مرشحان في معركة برلمانية ، او في ميدان بلدي ، او الى مركز قضاء مثلا .

الغاية في مثل هذا الخلاف ـ وهي التنافس في كفاءة او على خدمة عامة ـ مشروعة ايضاً. فاين موضع العيب فيها، وماذا علاجه؟

العيب خارج عنها. انه في ظروف الحكم. في التزوير واحتكار الامكانيات ، والاعتماد على الشفاعة والنفوذ الشاذ . اما علاجه ، فتربية الوعي العام تربية صالحة ، ترجح كفة العدل .

٣ ـ بقي ان نرى الى هذا الخلاف الذي يبعثه «الذوق» او «الفهم». والقول في هذا بعينه يختلف عن ذينك اختلافاً كبيراً. يختلف موضوعاً ، ويختلف محمولا ، ويختلف غاية ـ كما يقول المناطقة ـ ذلك لان الفهم متحيز مشخص، متعدد من تحيزه وتشخصه تعدد الافراد بالذات ، فكما لا يمكن دمج فردين، كذلك لا يمكن دمج ذوقين او فهمين ، تحت نص من النصوص ، او صورة من الصور، والتوفيق بين فهم وفهم ، كالتوفيق بين اسلوب واسلوب، كلاهما مستحيل ، لانهما ذاتيان ، ومن طبيعة الذات الاستقلال الفردي . ومن هنا قيل : الاسلوب هو الرجل .

ولكم ان تسالوا عن حظ هذا الخلاف من النفع والضرر ، وعن موضعه من الاصلاح والتخريب ، وعن الغاية من وجود الافهام سيالة متكثرة متعددة على هذا النحو؟.

والجواب الى هذا الخلاف نافع نفع الحرية بالاصل، مصلح اصلاحها بالذات ، لانه يصقل العقل ، ويشحذ الفكر ، ويستحث الملكات على الابداع ابداً، والتجويد ابداً ، ولولا هذا الخلاف لجمدت القرائح ، وتبلدت الافهام ، وتخلفت العلوم عن مماشاة التطور في ميادين نشاطه كلها .

وفي هذا الصدد يروى ان النبي كان يقول: اختلاف امتي رحمة

وسواء اصحت هذه الرواية او لم تصح عنه فليس الشان فيها التثبت من سندها ، وانما الشأن فيها صدق صدورها عن الروح الاسلامية الحق في هذا الباب ، وهي روحه التي عرفناها فيما لا سبيل الى الشك في انه من قوله وتعليمه .

ورسالته : سلامها وتوحيدها وانسانيتها . تقوم قرينة قطعية على انه انما يقرر بهذه الكلمة حقيقة خيرة بناءة باعثة، وينظر منها الى الثمار الشهية التي جنيناها غنية مغنية في حقول العلم والفكر والعقيدة والتنظيم. ولا مراء بان الذي وراء هذه الكلمة انما هو الحث على التوليد باحتكاك الافهام من اجل ارهافنا متطورين متجددين في ركاب رسالته ، كي يتهيأ له بنا ان يمد هذه الرسالة عزيزة معزة ما امتد بها وبنا الزمان .

***

وانتم رايتم الى الآن اننا وقفنا امام انواع من الخلاف: بعضها عفن ضار حقير ، وبعضها مشروع مباح لا يأتي الضرر من قبله، ولكن يأتي من اختلال التوازن حوله، وبعضها ضروري اكيد النفع ، لانه يمزق عنا «القوقعة» ، ويفجر لنا الحياة ينابيع : هذا ملح اجاج وهذا عذب فرات .

والبصيرة ـ وهذا ما اردته من عرض هذه المشكلة ـ في هذا واشباهه، لا اتمثلها ، ولا اريد لاحد ان يتمثلها، الا على اساس اتصالها بمنهج يهزنا نحو العمل الذي يوهج حياتنا ، ويصقلها بين التيارات العالمية التي غزتنا الوان الغزو، وطغت علينا كل الطغيان وجل ما قصدت اليه من هذه الوقفة الى تقسيم الخلاف انما هو الدعوة الى التمييز بين مداليله ، فان «التحديد» يدعو الى اليقظة والحذر ويمنع في نهاية الامر من اختلاط المفاهيم التي تتخذ في كثير من الاحيان مطايا للدس السياسي فيضع معنى مكان معنى آخر مستخدماً الاشتراك اللفظي لهذا الغرض وبذلك يخفى المعنى الخير ويضمر ويتلاشى، ليظهر المعنى الشرير ويسمن ويسود.

واني لاخشى ان يكون «خلافنا» قد تحول فانحصر بمعنى «التناحر» هذا المعنى الاعتدائي الهدام ، ولست اري ما يمنع تحوله من معنى «الخلاف» الذي يشتمل احياناً على الخير ، الى معنى التناحر الذي لا يفارقه الشر . لا ارى ما يمنعه من هذا التحول الخطر ، لان مجتمعاتنا فقدت مناعتها ، فلا تتحصن اليوم الا بلفتات نحو ماض لم يبق لنا منه الا قافية شاعر على طلل، او هناءة عجوز تحلم بليلة عرسها وجل ما نخشاه ان يساء استعمال هذه اللفتات حتى تكون مردية، كلفتة المقبل على هوة في ظلام دامس ، استن له البرق من خلفه، ثم ارسله بلفتته الى القعر يهوي

صدر الدين شرف الدين

الغناء الديني عند عرب الجاهلية

بقلم ناصر الدين الاسد

ماجستير في الادب العربي من جامعة فؤاد الأول

يرى فريق من الباحثين الذين عنوا بدراسة حضارات الامم العريقة في القدم كالمصريين والبابليين والعبرانيين واليونان أن الفن عند هؤلاء جميعاً كان يواكب الدين ويلازمه، وان شعائر العبادة كانت تبتغي الوسيلة للتعبير عن نفسها في صور فنية. ووصلوا – بعد استقراء طويل – الى ان الفنون جميعها – والغناء والموسيقى منها – إنما نشأت اول ما نشأت في احضان الدين، واتخذت اول ما اتخذت وسيلة تقرب العابدين الى تلك القوى الغامضة التي كانوا يعتقدون انها تسيطر عليهم، فيتزلفون بهذه الفنون اليها يبتغون رضاها او يتجنبون سخطها(١)

ولا ريب ان العرب لم يكونوا بدعاً من الامم. ولا بد لنا قبل ان نبعد في القدم، من ان نمسك بطرف البحث مبتدئين بالفترة الواضحة بعض الوضوح، والتي تمدنا بنصوص نطمئن الى دلالاتها، وهي فترة الجاهلية الاخيرة التي يصورها لنا القرآن اصدق تصوير ويجلو الشعر الجاهلي بعض جوانبها. وطرف البحث الذي نريد ان نمسك به ثم نتدلى الى اعماق القدم هو هذه المناسك العامة والشعائر الرئيسية التي كانت تنتظم اعمال العبادة في ديانة العرب الوثنيين، فنحن نعلم ان العرب كانوا يقدسون الكعبة والاوثان القائمة فيها والكعبات الاخرى التي اقاموها في غير مكة والانصاب والصخور والاشجار حيث كانت آلهتهم على زعمهم تقيم، وكانوا يعكفون عليها ويطوفون بها ويرقصون حولها ويغنون لها ويهللون ويلبون ثم ينحرون الذبائح يقدمونها قرابين للآلهة. ويجمل بنا ان نعير هذا الطواف والرقص والغناء والتهليل والتلبية شيئاً من العناية يبين صلتها بالبحث الذي نتصدى له. فالقرآن الكريم يشير الى ان صلاتهم عند البيت كانت مكاء وتصدية(١). وقد ذكر ابن عباس في تفسير ذلك ان قريشاً كانت تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون(٢). وقال ربيع بن ضبع الفزاري(٣).

فانني والذي نعم الانام له ... حول الأقيصر تسبيح وتهليل

« والاقيصر صنم في مشارف الشام ».

ويذكر ابن الكلبي(٤) ان العرب كانوا يسمون طوافهم بالانصاب الدوار. وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل – وكان قد أتى قبيلة غني بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى في فتياتهم جمالا وهن يطفن به – فقال(٥):

ألا يا ليت أخوالي غنيا ... عليهم كلما أمسوا دوار

ويذكر امرؤ القيس هذا الطواف ورقص العذارى حول الصنم بقوله:

فعن لنا سرب كأن نعاجه ... عذارى دوار في ملاء مذيل

وقد وردت في الحديث الشريف إشارة الى رقص نساء بني دوس حول ذي الخلصة – وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده(٦).

وفي كتب الادب والتاريخ إشارات كثيرة الى التلبية عند قبائل العرب. والتلبية في صورتها التي حفظتها لنا هذه المصادر العربية تتكون من جمل قليلة قصيرة مقفاة مجزأة تجزيئاً موسيقياً لعله قصد ليساعد على تنغيمها وغنائها، ولقد بلغ من وفرة الموسيقى في هذه الجمل المسجوعة أن جاء بعضها موزوناً على

(١) لبيان علاقة الفنون بالدين راجع: Encycl. of the Arts, Primitive وكتاب Ancient Art and Ritual لمؤلفته Jane Ellen Harrison

(١) الانفال – آية ٣٥
(٢) تفسير الطبري – ط الميمنية بمصر ٩ – ١٤٧ – ١٤٨
(٣) ابن الكلبي – الأصنام ص ٣٩ (٤) الأصنام – ص ٣٣
(٥) الأصنام – ص ٤٢ (٦) ياقوت – معجم البلدان « خلصة »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحر قصيرة مجزوءة. ومن امثلة هذه التلبيات الموزونة تلبية نزار:

لبيك إن الحمد لك ـ والملك لا شريك لك ـ الا شريك هو لك ـ تملكه وما ملك . واطرف هذه التلبيات هي تلبية عك، فقد ذكر ابن حبيب النسابة(١) أن عك كانت اذا بلغوا مكة يبعثون غلامين أسودين امامهم يسيران على جمل ، مملوكين قد جردا ، فهما عريانان ـ فلا يزيدان على ان يقولا : نحن غرابا عك . واذا نادى الغلامان بذلك صاح من خلفهما بن عك : عك اليك عانية ـ عبادك اليمانية ـ كيما نحج الثانية ـ على الشداد الناجية

ويرى الاستاذ فارمر(٢) رأياً طريفاً في هذا الصدد فهو لا يستبعد ان تكون هناك علاقة بين النُّصب وغناء النَّصب، وقد اوحت اليه بهذه العلاقة تلك المشابهة اللغوية بين الكلمتين فهما من مادة لغوية واحدة في الاصل معناها الرفع والاعلاء: فالنَّصب ما يرفع به الصوت من الغناء، والنُّصب ما يرفع وينصب من الحجارة.

وللمستشرق الانجليزي روبرتسون سمث رأي كبير النفع لنا في هذا المجال ، فهو يرى ـ بعد دراسة مستفيضة للدين عند الساميين في اطوار مجتمعاتهم المختلفة ومقابلة ذلك بالنتائج التي وصل اليها الباحثون المختصون بتقاليد الامم البدائية وعاداتهم ودياناتهم في القديم والحديث ـ يرى ان المناسك والشعائر التي يقوم بها العباد في اثناء تقديم القربان تخضع لعادات وتقاليد ثابتة مقررة ، وان الشعائر المصاحبة لذبح القربان تستمر على صورتها القديمة حتى بعد ان يفقد الحيوان معاني قدسيته في الحياة العادية . فيكون بذلك للسوابق والعادات القديمة من القوة ما يبقي على صور العبادة التي فقدت معناها الاصلي (٣) . ولذلك يكون من المرجح اننا حيث نجد قرباناً لا بد ان نجد معه بقية الشعائر كالرقص والغناء .

ونحن بعد ذلك مستطيعون اقتفاء آثار هذه المعالم في فترة اقدم من الجاهلية الاخيرة ، وهي الفترة التي تناولتها النصوص العربية السابقة . واقرب ما عثرت عليه من النصوص الى هذه الجاهلية الاخيرة هو النص الذي ذكره نيلوس (٤) « في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس للمسيح » يصف لنا فيه مناسك العرب من اهل البادية في شمال الجزيرة العربية وشعائرهم حين تقديمهم القربان ؛ فيذكر انهم كانوا يعدون مذبحاً بسيطاً من

---

(١) المحبر ـ ط الهند ص ٣١١ وما بعدها

(٢) H. G. Farmer, History of Arabian Music, 8

(٣) W. Robertson Smith, Religion of the Semites, 404,287

(٤) Migne, PP. GG. LXIX, 611

حقائق ك . ل . م العشر

١ ـ الاقدمية : ك ل م اقدم شركة للطيران في العالم .

٢ ـ المهارة : ك ل م تعاين وتصلح الطائرات التابعة لثماني عشرة شركة اخرى للطيران .

٣ ـ الخبرة : ك ل م التي تستعمل احدث الطائرات وافخمها يعود اليها الفضل بادخال ابرز التحسينات في حقل تجهيز الطائرات وراحة الركاب .

٤ ـ الثقة : ك ل م نالت على التوالي في السنوات السبع الاخيرة جائزة الامان السنوية لعموم اميركا اذ لم يحصل اي حادث ، في هذه المدة ، لركاب طائراتها او لربابنتها .

٥ ـ السرعة : ك ل م نالت الجائزة الاولى في سباق الهنديكاب الدولي بين انكلترا واوستراليا .

٦ ـ الخدمة : ك ل م احتلت مكانتها الدولية في الصف الاول اعتماداً على خدمة الركاب وانشراحهم بنوع خاص.

٧ ـ الدقة : بالنظر الى دقة مواعيد ك ل م التي اصبحت مضرب الامثال فان عشرات الملايين ينتظرون يومياً مرور طائراتها فوق رؤوسهم لمعرفة الوقت بدقة .

٨ ـ الاقدام : ك ل م اول شركة طيران في اوروبا انشأت خطوطها عبر المحيط الاطلسي واول شركة في العالم انشأت خطوطها فوق الشرق كله .

٩ ـ الانتشار : خطوط ك ل م تربط احدى وستين دولة وثمانين مدينة بطول الارض وعرضها ولا تزال تمتد سنة بعد سنة .

١٠ ـ الشهرة : لذلك هي تحتفظ بكل فخر ، منذ ثلاثين سنة بلقب « الملكية » الذي تحمله وحدها في العالم ، ولذلك يعتمدها ، في الطليعة من يعتمدها للسفر اكثر الملوك والرؤساء والوزراء .



ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ليلة في دمـر

☆

الليل مبسوط الجناح وهذه العـذراء نشوى
ماج الربيع بصدرها وترنح النهدان شجوا
وتنهدت حولي تذوب ضراعة وتفيض شكوى
وتضمني ضم الرضيع يريد فوق الصدر مأوى
حتى براعمهـا تنوح صبابة وتسيـل نجوى
يا ويحها عند العناق تكاد من شغف تلوى

***

شهد المساء لقاءنا في مخـدع كالليل حائر
في سفح رابيـة بدمر حيث تضجع الازاهر
وتمر ساقية الحقول فكانها الحان شاعر
في مخدع صنعته من ورق الكروم اكف ماهر
خفـق النسيم به فمال على جبيني بالغـدائر
فشددتها بالساعدين وشوقي المجنون ثائر

***

فاذا الشبـاب يصيح في اجفانها واذا الفتوه
واذا الفم اليقظان يهتف في ضراعته بقوه
وتشدني في صدرهـا فاحس في شغفي حنوه
والطرف مذهول كان عليه احلام النبوه
ناديت فيه صبابتي فسما الحنين به سموه
واذا الشفـاه الظامئات على فمي الظامي تأوه

البحرين ناصر سليمان بو حيمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان

شهر العسل قد انتهى وقد بدأنا في حياة ساكنة هادئة نذهب الى العمل في الصباح ونعود للغداء في البيت وقد نخرج معاً في العصر للعمل من جديد . ولقد كنت اعمل انا وزوجتي في ادارة شركة كبيرة للنسيج فكنا نذهب الى العمل في الصباح معاً وابقى انا في الدور الاول من بناء الشركة مع العدد الكبير من المحاسبين وتصعد زوجتي الى الطابق الثاني لتجلس في الغرفة المجاورة لغرفة المدير، فقد كانت سكرتيرته.ولا يمكنني ان انكر ما كنت اتبينه في زوجتي من حسن غريب مفاجىء ورهبة ملفوفة متحركة كلما رايتها تصعد الى الطابق الاعلى فتتحرك حقيبتها المدلاة من كتفها مع خطواتها على الدرج الى غرفة المدير .

كنت اجلس مع الحاسبين على مكاتبنا نطوي الوقت مع صفحات الدفاتر الكبيرة المليئة بارقام متكررة عديدة تعبث بالعيون.كانت الدفاتر مسطرة مقسمة بالخطوط الحمر تجري فيها اعمدة متفاوتة العرض والضؤولة كأنها نول فارغ تجري فيه الخيوط.ولقد كنت استشعر احياناً اذا اشتد بي الجهد في العمل وتكاثرت في يدي قصاصات الاوراق الصغيرة التي ارصدها في الدفاتر ان هذه الخطوط الحمر تجري في عمري فتقسمه وتفصله تفصيلا لا ادريه ولا اتبينه.لم اكن ادري – على صفحة الدفتر المفتوح – ان كنت اتحرك في مستقبل مفتوح متجدد ام انا اسعى واتردد في هذا الرسم المخطط الضيق لا اتعداه ولا اتخطاه . لم اكن ادري ان كانت لي حياة ام ان لي سياجاً من عيون الناس يحصرني على مقعدي ومكتبي . ولم يكن لي من طاقة مفتوحة على الغرابة ولاقل ، طاقة اتشمم منها عطراً بعيداً وبعضاً من المراعاة كسحابات بيض ، لم يكن لي من بعد الا زوجتي الجالسة في الطابق الاعلى. كنت ارقب زوجتي من مقعدي واتخيلها في انتظارها وصلتها بالمدير واستشعر ان صلة غير معقولة تربطني بها وان جسدي يسري فيه شيء من قوتها وقدرتها ، كنت اتلقى منها – في نفسي – شحنات غير معقولة من التعزي والتحامل قد تنعقد في روحي بضحكة فاكاد اغر واحب ان استريح من العمل او ان ادخن سيجارة. نعم، لم اكن استريح من العمل وكتابة الارقام الا اذا تخيلت ظهر زوجتي بشعرها المعقوص وحقيبتها على الارض عند اقدامها.وقد كانت لدي صورة غريبة عن عمل زوجتي، فلم اكن اتخيلها إلا منتظرة دائماً وكنت احب اذا تخيلتها ان انتظر انا ايضاً او ان استريح .

ولقد حدث في اكثر من مرة وانا استريح وادخن سيجارة ان تقدم لي احد زملائي في الغرفة وسألني سؤالا غريباً اشتم فيه زوجتي . وكنت افاجىء دائماً من هذه المصادفة وان كنت اسر لتعرف الناس اللكع على هذا الوقع المنتظم في نفسي .

كان يجيئني احدهم فيرفع رأسه في بطء واحترام الى الطابق الاعلى ويسألني مستطلعاً في ترفق :

– وهل تشربان الشاي بعد العصر في المقهى .

وكنت اجيبه وقد حلا لي التباله :

– اي مقهى ؟.. نعم ، ان بيتنا بعيد ، لقد تعودنا ان نشرب الشاي في ... قبل ان نقدم الى هنا .

بقلم بدر الديب

وفي الواقع اننا لم نكن اغنياء، ولم يكن في مقدورنا ان نشرب الشاي في ... الا لماماً اذا حلا لزوجتي ذلك فتفضلت علي به قائلة :

– لما لا نشرب الشاي في ...

وكنت اعلم في نفسي ان المدير قد صرف لها مبلغاً غير صغير مقابل الوقت الذي تصرفه في المكتب اذا تأخر بها العمل.وكنت اتناول الشاي معها مهموماً مستضعفاً اتميز من الغيظ وانا اراها تدخن سيجارة وتفكر في شيء لا اعرفه . ولكنني كنت استشعر في الكذب على زميلي حلاوة مزيدة كانني امتص في فمي قطعة من الحلوى الصغيرة اغيظ بها طفلا كبيراً . ويستشعر صديقي سروري بسؤاله وتعرضه فيتمادى في اسئلته وكانه يستنطق حيوانا انيساً قد عرف عنه حديثاً انه يتكلم . ولكنني كنت اعرف ان من الخطر علي ان يتمادى زميلي في اسئلته وان يتعمق في حياتي مشيراً باصبعه . واحس ان الكذب قد اصبح مراً في فمي" وان ما يملأ حياتي من اضطراب وخجل يقسو علي ويلف سروري وسيجارتي ويدفعني دفعاً الى الارقام والدفتر . وعند ذاك لا استطيع ان افكر في ظهر زوجتي ولا استطيع ان اتطلع الى طاقة من الراحة بل لا اكاد افهم من الاشياء حولي الا انني قد قسمت بالخطوط الحمر وانني اجري في قنوات مسدودة الاطراف



الوسيط
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالماء الآسن اروح واجيء ، وارحل الارقام وافكر فيما صنع بي ابي .

ولقد كان يغيظني تماماً في مثل هذا الوقت انني لا اعرف ان احدد شعوري من ابي ، فلقد سعى الرجل حتى وجد لي هذه الوظيفة وقد اجهد نفسه ومعارفه وترك امي واخواتي في عصارى كثيرة كي يتابع صلاته بالناس وكي يرجو ويستعطف وعينت آخر الامر بمرتب عادي بفضل جهوده ، وبدأت عملي نشيطاً مسروراً احاول ان اكبر وان استقل بمعارفي ووسطي . ولكن ابي وامي تحادثا كثيراً في الليل ، فلقد ضبطتها اكثر من مرة . واذا بي ارى ابي يجهد من جديد ويخرج في العصارى ويسعى ان يزوجني . ولقد قالت لي امي في ذات مساء : «انت تعرف انها تشغل منصباً خطيراً ، وانها معك في العمل ، وان اباها يعرف اباك ، ثم لا تنس فهي جميلة ويعرف الناس جميعاً انها مؤدبة .

ولم تترك لي امي وقتاً كي اجيب بل اضافت الى كلامها في ضراعة ودعاء : انا ادعو في كل مساء ان يفلح ابوك » .

ولما مر شهر العسل واحسست عارفاً ان زوجتي تتصرف في كما يتصرف في المدير لم استطع ان افرح فرح امي وابي ولم استطع ان ادرك ما يتكلمان عنه دائماً ان لي بيتاً وان اخواتي البنات قد اصبح لهن رجل ثان . كنت احس ان البيت الذي نسكن فيه قد صنع من ورق لين وان زوجتي تمد فيه ذراعها كي تقيمه وتقويه . الا انني لم اكن اكره زوجتي ، فلقد كنت اعدها امام الناس شيئاً قوياً في نفسي ولكني كنت اخشى دائماً - وكان هذا ما يحدث - ان يهاجم الناس حقي فيها . كنت احس وهم يسألونني عن حياتنا أنهم يسالونني عنها وكنت ارى في هذا كذباً غير مؤدب لا اقدر على رده الا بالكذب والتباله . ولم اكن في الواقع كذاباً او ابله ولكنني لم اكن استطيع ان استقل لنفسي بمعارف او وسطاء . ولقد ادركت بعد مرور شهر العسل انني لن استطيع ان احب زوجتي ولن استطيع ان اكبر لاخواتي البنات الا اذا عرفت لنفسي قوماً اخرج لهم بعد العصر فارجوهم واستعين بهم على رفع مرتبي وقضاء مصالحي . ولقد تحقق في نفسي ذلك ذات نهار وانا اقلب صفحات الدفتر فتولد في عزم كبير كرقم من اعداد كثيرة .

قلت لنفسي اذ ذاك : « لن اعود للعمل حتى اجد اولئك الناس » . وكنت اعرف انني افقد سني وانني افقد عمري وانني افقد ما بنيت في الحياة من بيت وامل الا انني عزمت على ذلك ولم يكن يتردد في عزمي قلق .

وخرجت من مكتب الشركة دون ان انتظر زوجتي او ان اخبرها وخرجت للطريق وكأنني سأجد ما ابحث عنه عند اول منعطف . ولكنني تعجبت كثيراً من نفسي وانا اسوق خطواتي لبيتنا فاجلس فيه وانتظر زوجتي كي تعود لنتناول الغداء . ولما جمعتنا المائدة رفعت رأسها لي وهي تملأ طبقي حساء وقالت :

- اتعلم انك لن تذهب في العصر للمكتب .

فقلت لها في صوت هادىء وكأنني اتناول في يدي فاجعة :

- انا لن اذهب !

فقالت لي وكأنما تذكرت شيئاً :

- لم لم تنتظرني اليوم ؟

ولم تترك لي فرصة ان اجيب بل اعتدلت في مقعدها وراحت تأكل في بطء وهي تقول لي :

- ان مجلس الادارة يفكر في توفير بعض الموظفين وقد طلب مني المدير ان اكتب قراراً بوقف العمل بعد الظهر ليفرغ لدراسة هذا الامر . فسألتها وكأنما اتهمها اذ ارتكب شيئاً :

- او ذاهبة انت .

- نعم ... في الثالثة

- ومتى تعودين

فتوقفت عن الأكل ولبسها جد غريب واجابتني :

- لا ادري ، اظننا سنتأخر ..

واحسست انني انفر عن كل شيء حتى عن مقعدي على المائدة وانني لا استطيع الكذب او التباله ولا استطيع ان انتظر حتى احقق عزمي . انه يضطرب في سيقاني وبطني ويملأني غيظاً وتوفزاً ، وقلت لنفسي ماذا عساي افعل بالبيت والامل . ان علي واجباً ضرورياً يملأ حياتي ويستغرق مجهودي ، علي ان اقوم فلا انظر في شيء إلاه وان اتحرك فامد ذراعي للابد حتى امسكه في مكان ما . ليس لي ان اجلس حتى تعاود ملء طبقي . وتحركت في نفسي عزمات كثيرة للقيام ولكنني لم اترك مقعدي حتى قامت قائلة :

- ساستريح لحظات قبل ان اذهب .

***

فلما ذهبت زوجتي وعاودني العزم قلت لنفسي ساخرج فاسير على النيل حتى الحديقة ، بل سادخلها واتسكع تحت الظلال . ولما قطعت المسافة الى هناك كانت نفسي قد خربت لطول ما حدثتها واحسست انها قد اصبحت كبيتنا من الورق اللين . فجلست على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقعد قريب من باب الحديقة ورحت استريح ولا احدث نفسي .

كنت صامتاً غريباً عن نفسي في داخلي كخطوات الداخلين الى الحديقة والخارجين منها. وكان الناس يوغلون في الحديقة مارين على معقدي القريب. وبينما انا جالس قد بدأت استريح واصحو لحديث النفس دخلت من الباب امرأة عجوز تلبس الاسود القديم البالي قد علا ركبتها و بطنها بياض الرثاثة وحملت في يدها سلة صغيرة من القش المفتول بها لب وعيدان من الحلوى وقطع مقشورة صغيرة من شيء لا اعرفه. وحطت المرأة بنفسها على طرف مقعدي وراحت تهرش في فخذها مملولة كاذبة. وكانت المرأة قصيرة قد اسندت بظهرها على المقعد ووضعت السلة في حجرها فبدت قدماها العاريتان قد شققهما التراب وفسح فيهما السن. كانت اقدامها ضامرة تتقلب في الهواء كغرابين صغيرين ممسوكين بحبال. وراحت المرأة تنظر لي في مللها وكذبها فلم تكن لتستطيع ان تستريح او ان تنسى سلتها الصغيرة على حجرها، وتوجهت الي بالحديث محاولة معي محاولة مكرورة مردودة ليس فيها من الامل او التحقق الا قدر مليم او مليمين سريعين منسيين كعيون العجوز. وقالت لي !

ـ الا تشتري عوداً من الحلوى ؟

فنظرت في سلتها واحسست ان عزمي يئن علي كجرح قديم وسالتها في بساطة عميقة قد أذبت فيها صدري كله :

ـ الك وسطاء ؟

. فاجابتني المرأة وكانها تسير :

ـ نعم، لي ولك في الطريق تحت المظلات التي تحجب الشمس ووراء الموازين الكبيرة وعند ابواب الافران . اتعرف انك

اوليمبيا

الآلة الكاتبة الالمانية التي فازت بجائزة الشرف للآلة الكاتبة العربية والفرنجية في معرض همبورج



اوليمبيا

هي الماركة الالمانية العالمية

الوكلاء : عزيز طعمة رحال وشركاه

بيروت ـ شارع المعرض ـ صندوق بريد ١٢٧٦ تليفون ٧١ ـ ٢٨

دمشق : شارع ابن عساكر [حريقة] ـ تليفون ١٣٧٢٢

عمان : شارع السلط

اذا سرت على الأسفلت في الصيف لسعت اقدامك العارية . وان النوم تحت المصابيح يجعلك قذى في عيون النائمين .

فقلت لها خائفاً :

ـ اقول لك الحق ، انا لم أسر في الطريق بالليل ولم اتزوج الا بالوساطة .

فطفقت تتني العجوز قائلة !

ـ ان الوسطاء كثيرون في كل مكان ، ألم ترهم في المقاهي على الارصفة، انهم يجلسون طوال النهار ينتظرون ان يسحبهم احد. لقد بعت لهم لباً كثيراً .

واقتربت من المرأة فشممت لها ريحاً غير طيب قد عجن بتراب بعيد وعرق اخفى من ان يبرق . ولكنني لم انفر بل اقتربت منها انا ايضاً وسألتها :

ـ اتعرفين اين نحن من النهار ...

فقالت لي :

ـ نعم في العصر

ـ واين يذهب الناس في العصر

ـ الى الحدائق يبيعون اللب .

وابتعدت عني قليلا فاقتربت منها وسالتها من جديد :

ـ لقد قالوا لي ان في الحديقة ظلا ولم اجد الا عيداناً من الحلوى ، فلمَ ذلك ؟

وتلعثمت المرأة طويلا قبل ان تجيب على سؤالي ثم ابتعدت عني حتى طرف المقعد وهبطت منه على الارض وهي تناولني عوداً من الحلوى وقالت لي :

ـ خذ هذا العود ولا تدفع ثمنه .

واخذت منها العود وصمت وانا اراها توغل في الحديقة مع الداخلين . ولما اختفت المرأة عن ناظري في الظلال رحت اقضم العود وانا احس انه مطلع جديد ومرقى لحياة اخرى . نعم ، لقد احسست وحلاوته في فمي انني لا استطيع ان اقول الا الصدق البسيط الجامد .

ولما خرجت من الحديقة كان العصر قد تقدم وشاعت في السماء مطالع الغروب فرحت اسير وقد تجمد مني عزمي فلم اعد استطيع ان افهمه ومشيت احاول ان اصيغ لزوجتي كلمات كثيرة كلها احكام وقسر . كنت اريد ان اقول لها اننا لسنا وحدنا في الدنيا وان ما ينبض في قلبي من الم قد تجمد في عيدان الحلوى الرخيصة ، الا انني احسست ان بيتنا بعيد وان زوجتي تعمل وان حديثنا لن يتم ابداً ، فتساءلت في نفسي حزيناً حائراً : أإذا كنت حملت لزوجتي عوداً من الحلوى افكانت تأكله ؟ وواصلت سيري في حيرتي لا اعرف لي منفذاً ولا اعرف كيف اتدرج الى نفوس الآخرين .

كنت احدث نفسي على مبعدة من صوتي المدفون واحسه يرقى في داخلي كانه يصعد سلماً حلزونياً من الحديد . ولم يكن في الغروب من حولي الا وحدة حادة منتصبة تصب في نفسي إظلاماً منتصباً مصمتاً .

ولما دفعت باب بيتنا بقدمي ودخلت وجدت زوجتي جالسة في ظل من الغروب لها روعة العائد الكبير وعندما راتني ابتسمت لي ابتسامة صغيرة وتركتني اجلس امامها احاول ان احدثها وارقب في نفسي هذا التردد والشجار الذي يصطرع في كماتي وجملي . واحسست انني اقف غاضباً مغلولا امام ماء صاف لا استطيع ان انتحر فيه . وتقدمت بمقعدي اليها وقلت لها وكانني اغمر نفسي في وسط الماء دفعة واحدة :

ـ انا اريد ان احبك .

فابتسمت في هدوء وكانما تلقفت مني كرة اريد ان اعابثها بها وقالت :

ـ لم يعد ثمة امل كبير في ان تبقى في عملك .

فانفجرت غاضباً وكانما أفك عن نفسي شيئاً :

ـ انا لا اريد ان اعمل ولا اريد ان ارى ناسك. لقد تحقق لي عزم ان امضي وحدي وان احفظك في نفسي . انا لم اعد اكذب ولهذا لم اعد في حاجة الى شيء . لقد شغلت بالصدق عن كل شيء ، اما انت وابي وامي ومديرك فجزء من صدقي وشيء فيه . فقالت لي جادة :

ـ اتعرف انني لا افهمك .

فواصلت انفاسي وقلت لها :

... أإذا كنت حملت لك عوداً من الحلوى أفكنت تاكلينه .

فقالت لي باستهتار :

ـ طبعاً لا ..

ولكنني كنت اكثر بعداً من جوابها ، فلقد تجاوزت في نفيها العذاب والخجل واحسست ان ما احمل يحتاجه الناس جميعاً ، ولهذا رحت أبكي في قداسة دفينة عندما تركتني لتتحرك في البيت واحسست ان دموعي المتدفقة ينبوعاً كريماً لكل الناس .

لقد اكمل لي الحق واضئت كالنور لعيون الناس .

القاهرة **بدر الديب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مناجاة

☆

يا فتنــة جاءت على غرةٍ ولم اكن ادرك سلطانهـا
بليـلةٍ فارقـني صبحهـا وروضةٍ عانقت أفنانهـا
يا منيــة النفس أيا غادة ما زلت مأخوذاً بما زانها
لا تشعلي في القلب نار الهوى من بعد أن أخمدتُ نيرانها
فمهجتي الحرى على رغمها تود لو تعلن تحنـانهـا
ومهجتي في الحب قد اتلفت والعين قد ذوبت إنسانهـا

***

ما الحب؟ ماسر تعاطي الهوى ان لم تنولنيَ احسانهـا
لِمَ احتمالي للجوى قاتلا؟ وهي التي تكثر هجرانها
جاءت تهادى كاغاني المنى رجع طير الروض الحانها
رشيقــة تخطر في رقــة ندّى عبير العطر اردانها
وابتسمت كالزهر في كمه في فتنــةٍ تنثر الوانهـا
في عطفها الدل وفي طرفها سحر عن العشاق قد صانها
منيرة كالصبح حُسّانــة قد صاغت في «الوكر» حسانها
توحي له الشعر فيشدو بها قصيدة تمليـه اوزانهـا
قد صفق الكأس على كفها مذ أسكرت بالحب عبدانها
ثم تصدّت لحديث الهوى آسرة تكسر اجفانها
سكرى يشيع العطر من حولها اذ كان ورد الروض تيجانها
قد ضحك التفاح في خدها لما رآى في الصدر رمانها
كأنها البحر وقد اغرقت روحي فلا اعرف شطآنها

مكة — طاهر الزمخشري

بايرون والشيطانية

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

عندما مات بايرون* في ميسولونغي ـ بلاد اليونان ـ وقع نبأ موته على اوروبا وقع الصاعقة. ويذكر الشاعر تنيسون انه كان في الخامسة عشرة من عمره عندما سمع الخبر ، فشعر ان امراً رهيباً قد حل بالدنيا ، وركض الى الصخور الرملية وكتب عليها : « لقد مات بايرون » اما في ميسولونغي فقد اعلن الحداد العام ثلاثة اسابيع ، واطلقت المدافع سبعاً وثلاثين مرة بعدد سني حياته، ثم استمر اطلاقها مرة كل نصف ساعة لمدة اربع وعشرين ساعة. وفي باريس لبس الشباب قطعاً من الحرير الاسود على قبعاتهم ، وكتبت جين ولش الى كارلايل تقول : « لقد قالوا ان الشمس او القمر قد سقط من السماء لما اوحى لي ذلك بهول ما حل في الكون من فراغ رهيب اشد من قولهم : مات بايرون »

وجاء موت بايرون بعد موت صديقه الشاعر شلي بسنتين ، وبعد موت كيتس بثلاث سنوات . ولكن لم يكد احد يشعر بموت كيتس وشلي ، بينما اهتز العالم لوفاة هذا الشاب الذي كانت اوروبا باسرها تتبع اخبار تنقلاته وغرامياته ، وتلتهم قصائده غثها وسمينها . حتى اعداؤه الكثيرون في انجلترا اضطروا الى التخفيف من غلوائهم في مهاجمته .

لقد مات بايرون وهو في كفاح في سبيل الحرية . فقد جاء الى بلاد اليونان ليساعد في انقاذها من العثمانيين ، ولكنه راح ضحية حمى اصابته هناك . وقبل ذلك كان يقيم في اماكن مختلفة من ايطاليا يستحث اهلها على القيام في وجه الطغاة النمسويين الذين كانوا يسيطرون على اكثر اجزائها ، فراحت السلطات تطارده من مدينة الى اخرى ، الى ان استقر به المقام في ميسولونغي .

وقبل ان يصاب بالحمى باشهر قليلة ، كتب قصيدة في يوم ميلاده السادس والثلاثين يقول في مطلعها :

> قد حان لهذا القلب ألا يخفق حبا
> لأنه ما عاد يبعث القلوب على الخفقان

ثم يستمر فيقول :

> « أيامي اصفرت اوراقها :
> سقطت عني ازهار الهوى وثماره
> ولم يبق لي الا الدود والسوس والأحزان »

وبعد هذا القنوط من الحب والشباب يعنف نفسه فيقول :

> « ولكن أيليق بي ان تمضني
> أفكار كهذه الان هنا
> حيث المجد يزين نعش البطل
> او يكلل بالغار جبينه ؟ »

ويذكر نفسه انه في بلاد الاغريق ، وهي تريد الخلاص من قيود العبودية ، فعليه الا يأبه لبسمات الجميلات او عبوسهن ، بل يسعى الى الحرب ، وينتقي كالجندي ارضاً يستريح فيها الراحة الاخيرة .

الحب، اليأس، المجد، الجميلات ـ تكاد تكون هذه خلاصة حياة بايرون . هذا هو يائساً من الحب، والنساء ما زلن يلاحقنه هذا هو يائساً من الشباب ، وهو ما زال في السادسة والثلاثين من عمره، فيعلل نفسه بالحرب والمجد. وهذه جميعاً خصال امتاز بها بايرون حتى سميت باسمه: البايرونية Byronism ـ يأس الشباب واحزانه ، واليأس من النساء وهو يتقبل عشقهن ، والتمرد في وجه الطغاة وان يكن في ذلك التمرد حتف محتوم .

إن شخصية بايرون من اعقد الشخصيات واشدها سحراً ، وهنا المفتاح لفهمها. فقد كان بايرون في حياته اسطورة سحرت

* القيت هذه المحاضرة في قاعة كلية الملكة العالية ببغداد

اوروبا باجمعها. ولكن المجتمع الانكليزي لفظه لما في اسطورته من امور لا يرتاح لها مجتمع مستقر لا بد له من الرياء لاستقراره ويعلن بارون الم لهذا الوضع في بلاده، ولكنه يغادرها قبل موته بثماني سنين ويقول: «لقد نفضت غبار انجلترا عن حذائي» وهو إذ يتنقل من بلد الى آخر، يشهرها حرباً شعواء على مجتمع منافق مخاتل، في شعر دافق وسخرية هجاءة. ويحقق لنفسه في اثناء ذلك الشخصية التي كان يعتقد انها فرضت عليه ولا مفر له منها: شخصية الشيطان.

ولكنه شيطان غير الذي يرمز به الناس الى الشر فقط. إنه الشيطان الذي اوجده الشاعر ملتون في «الفردوس المفقود»، والذي تطور فيما بعد على ايدي الكتاب الى شخصية الجبار الجليل الذي ناصبته الآلهة العداء، ولكنه يتمرد عليها ويفخر بتمرده وثورته، ولا يطيب له العيش الا بها.

ولكي نفصل هذه الناحية من النواحي الكثيرة المعقدة التي اتصف بها هذا الشاعر العجيب، لا بد لنا ان نعود الى ما قبل بارون بحوالي مئة وخمسين سنة، الى ملحمة ملتون «الفردوس المفقود»، حيث نرى ان ابليس كان في بادىء الامر رئيساً للملائكة في السماء، سولت له نفسه ان يثور على الله تعالى، فسقط الى اعماق الجحيم. ولكن ملتون يصفه بالقوة والجمال فيقول مخاطباً زعيم الشياطين:

« يا لسقوطك الرهيب! وما اشد ما تغيرت
عما كنت عليه في سموات النور السعيدة
حين كنت ترتدي بريقا أخاذاً كان لألاؤه
أشد بريقا من ملايين الملائكة الآخرين »

ثم يستمر فيقول واصفاً الشيطان بعد سقطته:

« لقد وقف بين الجميع كبرج شامخ
عاليا يزهو بحركاته ولفتاته.
ولم يفقد شكله الا بعض بريقه القديم، ولم يبد إلا
كرئيس ملائكة قد تحطم، او فيض من المجد قد أعتم ...»

ثم يذكر ان الحزن والموت في عينيه يمازجهما

«كبرياء عنيدة وكره لا ينثني ..»

واذ يتكلم الشيطان في جمع من أبالسته حين يتداولون فيما بينهم كيف ينتقمون لانفسهم من سخط الله عليهم، يقول:

« لم ينقص كفاحنا المجد، وان كانت النتيجة وبالا علينا ...
ولست نادم على تجرؤي.
وان يكن اللألاء في مظهري قد تحول
فاني لست بمتحول عن عزمي الثابت وإبائي الرفيع ..»

وهكذا نرى ان ملتون اضفى على شخص الشيطان سحر الثائر المتمرد الذي كان ايستخلس قد اضفاه من قبل على برميثيوس الثائر على الآلهة. وبذلك اتخذ صورة الجمال المنكسر، صورة الفخامة الرائعة، التي سقط عليها ظل الاسى والموت. لقد اصبح له جمال غريب السحر، وغدت صفته البارزة الجمال اللعين.

لقد كانت غاية ملتون من كتابه «الفردوس المفقود» «تبرير طرق الله مع الانسان» ولكن وليم بليك قال «ان ملتون كان من جانب الشيطان وهو لا يدري». ومهما يكن من امر فان الحيوية الجبارة التي يبديها الشيطان بعد سقوطه في محاولته مقاومة قدرة الله تعالى، تفتن كل قارىء بحيث كما قال شيلي «يتحول كل قارىء في قرارة نفسه الى ملاك ساقط»!

وفي اثناء المئة سنة التي عقبت ذلك كان شيطان ملتون مصدراً لفتنة رهيبة جعل الكتاب الروائيون يضفونها على ابطال قصصهم فاوجدوا بذلك شخصية المجرم الكريم، او الطريد السامي النفس، فنرى «روبرت» اللص في رواية لشلر بهذا العنوان يصفه الكاتب بالوقار، ويدعوه «المجرم النبيل والوحش المهيب» ويقارنه بابليس «الذي طغى آلافاً من الملائكة الابرياء فاودى بهم في نار العصيان وجرهم معه الى هاويات اليأس والعذاب». وفي احد المناظر ترتمي الفتاة «أملي» على عنقه وهي تصيح: «ايها القاتل، ايها الابليس، أنى لي ان اعيش بدونك ايها الملاك»! فيهتف اللص قائلا: «أترى كيف يبكي ابناء النور في احضان شيطان باكي؟» وينتقل البطل من جريمة الى جريمة الى ان يبلغ أدنى درجات الياس، ولا يعود الى الفضيلة والاستقامة في النهاية الا بعد الالم والعذاب.

وقد ظهر في اواخر القرن الثامن عشر نوع من القصص عرف «بقصص الرعب»، وهي روايات ملأى بقطاع الطرق وابطال المخاطرات والخارجين على المجتمع، وكلهم يتلبسون هذه الشخصية الشيطانية من حيث الجمال الفتاك والقدرة الرائعة. واعظم من اشترك بمثل هذه القصص المسز آن رادكليف، التي كان بارون يعشق رواياتها، ونحن لو قارنا بينه وبين احد ابطالها، «سكيدوني» مثلا في رواية «الايطالي» ١٧٩٧، لوجدنا شبهاً عجيباً بين شخص من خلق الخيال وشخص بارون نفسه.

فسكيدوني راهب ، وحالما يظهر في الرواية لا نعرف عن اصله شيئاً ، ولكن يبدو انه نبيل المحتد طوحت به صروف الزمان . فهو متكتم ، صامت ، يحب العزلة ، يعذب نفسه تكفيراً ، فيقول البعض ، ليس ذلك الا نتيجة للويلات التي تأكل نفسه المضطربة المتكبرة ، ويقول البعض الآخر بل إنها نتيجة لجريمة قبيحة ملأت ضميره بالتقريع والتأنيب .

وسنرى فيما بعد كيف كان بايرون يبدو للناس في هذا المظهر تماماً : لورد نبيل، رائع الجمال، ولكنه اعرج ، يلبس ثياباً انيقة يقلدها لا الرجال فحسب بل حتى النساء ، ينعزل عن الناس في قلعته القديمة ، ويوحي في قصائده للعالم بما يمضه من عذاب، ومن جريمة خفية تأكل قلبه ـ علاقة آثمة باخته لابيه ـ ولكنه جياش بالفكر السامية ، يبكي على حضارة الانسان المتهدمة ويسعى الى تحرير المظلومين من سيف الظالمين .

وقد وصف الارل لفلس ، حفيد بايرون ، جده ، فقال :

« كان بايرون يحب قصصاً شرقية تقول بوجود الانسان قبل ان يولد، وكان في حديثه وشعره يتخذ دور الرجل المنفي الذي سقط من عليائه ، او طرد من السماء ، او حكم عليه بان يتعذب في الارض من اجل جريمة ما : فان عليه لعنة وكتب عليه ان يحقق هذه اللعنة ... فكان احياناً يتظاهر بالجنون ، ثم يصحو شيئاً فشيئاً ، كانه يعتقد أنه قد قدر عليه ان يحطم حياته وحياة كل من هم حوله . »

وقد كتب بايرون عدة قصص شعرية طويلة جعل ابطالها على منوال سكيدوني وشيطان ملتون ، ولكن يبدو انها لم تكن الا انعكاسات لشخصيته «الرجل الفتاك The Fatal Man» التي كان قد انماها في نفسه . وهل ينسى المرء نظرته الجانبية الرهيبة التي كان يرعب بها الناس ، ولا سيما عشيقاته ؟ لقد رأى بايرون في قدمه الشوهاء علامة القدر ولعنته ، ولا سيما ان اسلافه جميعاً عرفوا بالشراسة مع النبل، فشعر انه بين عامة الخلق فرد خارج على قوانين الناس ولا بد له من السعي نحو مصيره المحتوم .

قال في الجزء الثالث من قصيدته «تشايلد هارولد» :

« أنا لم احب الدنيا ، ولا الدنيا احبتني .
لم أتملق انفاسها الكريهة ،
ولم أثن ركبتي صاغراً لأصنامها .
لم ارغم خدي على الابتسام ، ولم ارفع صوتي
في عبادة لصدى أتمنى ان اسمعه .
ولم تقدر الجماهير ان تعدني واحداً منها :
فقد وقفت بينهم ولكن لم اكن منهم
تلفني افكار ليست افكارهم ... »

***

ولد جورج غوردن اللورد بايرون عام ١٧٨٨ من اب كان يدعى « بايرون الهائج » وكانت امه زوجة ابيه الثانية . ولكن الاب كان من زوجته الاولى قد انجب ابنة اسمها اوغستا وهي التي اقترن اسم بايرون بها في فضيحة ما زالت تثير الجدل. ومات الاب وبايرون عمره ثلاث سنوات، وقد عرف من عرجه وفقره وسوء طبع امه الشكسة، آلاماً كثيرة حتى بلغ العاشرة من عمره عندما مات عمه الاكبر المسمى «باللورد الشرير» فورث عنه لقب اللوردية ، واراضي واسعة ، وقلعة «نيوستد آبي» . ودرس في مدرسة هارو واحب وهو في الخامسة عشرة من عمره « ماري آن تشاورث» وكتب اليها اولى قصائده الغزلية . ثم ذهب للدراسة في كمبرج ، حيث اشتهر في السباحة في نهر الكام ، وهناك نشر ديوانه الاول بعنوان «ساعات الفراغ» . ولكن مجلة « ادنبره ريفيو » الاسكوتلندية هاجمته بنقد مستخف. فاجاب عليها بقصيدة هجائية عنوانها «الشعراء الانكليز والنقاد الاسكتلنديون» ابدى فيها اولى علائم براعته في الهجاء الذي برز فيه فيما بعد ، واحس العالم الادبي باسمه لاول مرة .

وعندما انتهى من دراسته في كمبرج وهو في الواحدة والعشرين من عمره ذهب الى اوروبا وساح في اسبانيا والبانيا وبلاد اليونان وكتب قصيدة في جزءين يصف فيها رحلاته ، سماها « تشايلد هارولد » ، وحالما نشر هذان الجزءان في انكلترا عام ١٨١٢ ، لاقيا رواجاً عجيباً . فقد كان في القصيدة نغمة قاتمة من التأسي ، ورثاء لانحطاط اسبانيا وفساد الحضارة الاوروبية، مما فتن الناس في ارستقراطي مثله ودفعهم الى التهافت على مطالعته. قال بايرون:
« افقت ذات صباح واذا بي قد اشتهرت »

وعندما انفتحت أبواب المجتمع كلها في وجهه، واخذ الجميع يتقربون اليه ويطلبون صداقته، من ادباء كانوا سبقوه في الشهرة امثال روجرز ومور وكامبل، ومن زعماء في المجتمع الارستقراطي ووجد بايرون الناس يتحدثون عنه اينما ذهب ، وجعلت النساء يتهافتن عليه تهافت الفراش على النور ، وقد زاد في سحره لهن جماله الرائع مقروناً في بادىء الامر بحياء كثيراً ما يصرفه عن الكلام عندما يكون محاطاً بالناس ، فيذكرون كآبة بطله تشايلد هارولد وابطال قصائده الاخرى ويقولون إنه مثلهم كئيب يشعر بوحشته وها هو تائه في فيافي الافكار السامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

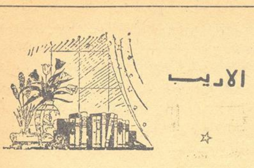
اما الوحشة التي كانت تلازمه ، فقد سعت في تفريجها عنه سيدات كثيرات انتشين بشعره وجماله ، بل انهن كن يطلبن وده باندفاع عجيب ، والواحدة تثير غيرة الاخرى وتتلذذ بايلامها حتى قضى بايرون سنتين او ثلاثا وهو منغمس في مؤامرات غرامية ، ان كان فيها يطارد الحسان احياناً فقد كان طريدهن في اكثر الاحيان ، وقد خلقت زوجة اللورد ملبورن فضيحة كبرى بعبادتها له ، وكانت الليدي كارولاين لام لا تخشى الافضاح عن ملاحقتها له ، بشعرها الذهبي وذكائها المفرط وعنادها في الحب ـ وكانت تتنكر احياناً في زي غلام لتخرج بحثاً عن بايرون . غير انه هجرها اخيراً واحب الليدي اكسفورد ، مع ان هذه كانت تكبره باكثر من عشرين سنة ! اما كارولاين لام فقد كتبت فيما بعد رواية مبنية على علاقتها ببايرون ، بعنوان كلنارفون ، بطلها بالطبع بايرون . ورسائله تفصل هذه الناحية من حياته خير تفصيل .

وهنا بدأت صفحة عجيبة مريعة في حياته . ففي سنة ١٨١٣ رأى أوغستا ، اخته لأبيه من زوجته الاولى ، ولم يكن قد رآها منذ ثماني سنوات ، « وكانت قد تزوجت منذ عشر سنوات » . وقد راق لبايرون ان يستحوذ على قلب امرأة من اسرته ، تجري في عروقها دماء بايرونية لعنتها السماء ، مثل دمائه ـ فكانت بينهما علاقة آثمة اختلف المؤرخون في تحديدها . ولكن لا ريب ان بايرون بابليسيته ، كان عليه اذا اراد اللذة ان يقبل على المحرمات ، واذ هذه الجريمة النكراء ، التي لم يبق أمرها سراً فيما بعد ، تثقل صدره بتقريع مرير ، وتنتهي الى نتائج مؤلمة تغمر الكثيرين .

ولكن بايرون كان يأمل احياناً في الخلاص من حياة فاجرة كهذه بالزواج من فتاة بريئة . فخطب آنا إزابيلا ملبانك ، وهي وريثة لبارون ، رفيعة الاخلاق واسعة الثقافة . غير انها رفضته لسوء سمعته ، فالح عليها قائلا إن رفضها إياه يعني دماراً له ، وانها في استطاعتها ان تنقذه وتصلح سيرته . وكانت آنابلا فتاة مثالية : لم تنج من فتنة هذا الشاعر الرائع ، واعجبت بفكرة انقاذه من شروره وآثامه ، فقبلت الزواج منه في يناير ١٨١٥ .

بيد ان ذلك كان وبالا عليها ، فقد جعلت شيطانية بايرون تلعب لعبتها من جديد . فهو يريد من تعشقه لكي يدفع بها الى هاويات العذاب . وقد قال فيما بعد في قصيدته المسرحية « مانفريد » :

كان عناقي فتاكا ...
احببتها فحطمتها .



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادى :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ } Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان قد كتب الى آنابلا قبل الزواج : « ان الهدف من الحياة هو الاحساس العنيف ، والشعور باننا احياء ، ولو كان ذلك في وسط الالم » . واول ما قاله لزوجته حال انتهاء حفلة الزفاف : ان الزواج جاء بعد فوات الاوان ، وانها كان بوسعها ان تنقذه لو قبلت الزواج منه اول مرة خطبها « مشيراً الى ان علاقته باوغستا جرت بين الخطبة الاولى والخطبة الثانية » ، اما الان فلا علاج هناك،وستدرك آنابلا عن قريب انها قد اقترنت بشيطان ، لانه لن يستطيع الا كرهها ، وانهما الان زوجان ملعونان كتب عليهما العذاب. ولم يتورع عن القول إنه في الواقع حين رفضته اول مرة ، جرحت كبرياءه ، فتآمر مع عشيقته الليدي ملبورن على قصاصها على عنادها ، وسوف يريها كيف يكون القصاص. واذ ازفت ساعة النوم سألها اذا كانت تريد النوم معه ، ثم قال : « اني اكره النوم مع اي امرأة ، ولكن لك ان تنامي معي اذا شئت ... على كل ، فما دامت المرأة شابة ، فلا فرق بين امراة واخرى » .. وفي منتصف الليل سمعت آنابلا زوجها يصيح « رباه ! لا شك اني في الجحيم ! » ثم اخذ يحدثها كيف سيتخلص من ولده اذا جاءها ولد قائلا : « ساخنقه الى ان يموت » . وبينما كانت في الم المخاض بعد ذلك باشهر قال لها بايرون : « أرجو ان تهلكي مع طفلك ! » وعندما ولد الطفل دخل الغرفة وقال : « الم يولد الطفل ميتا ؟ »

ولكنه كان بين الفينة والفينة يتودد اليها ويتقرب من قلبها، وكانه لا يفعل ذلك الا ليزيد في ايلامها ، فيسر بمرآها تتلوى عذاباً بحبها له وبكرهه لها ، ويزيد النار ضراماً بان يسكن اخته معهما في نفس المنزل ، ولا ينفك عن التلميح والتعريض بما بينهما من إثم،الى ان كادت آنابلا تجن ياساً وتشعر برغبة في قتل اوغستا

وظنت انابلا انه مصاب بعقله ، فهربت منه والتجأت الى بيت ابيها ؛ وعندما علمت من تقرير الاطباء انه كامل القوى العقلية رفضت ان تعود اليه،وفسخ الزواج في ٢١ نيسان ١٨١٦

فاحتج بايرون على ذلك غاضباً مرة ، متوسلا اخرى،وهو يقول انه لا يعرف ما هي التهم التي توجهها ضده . وقد ناصره بعض اصدقائه ، غير ان الرأي العام ثار عليه، وصارت المجتمعات تلوك قصته ، واذا بايرون وهو الأبي الفخور،يرى تقلب اهواء الشعب نحوه . فالحلقات التي كانت تعبده اخذت تتجنبه؛ واتهمه المجتمع بالفجور ، فاذا ظهر بين الناس في بيت ما ، اغمي على بعض النساء ، وغادرت بعضهن المكان في الحال .

فادرك ان انكلترا تكرهه عن غير حق . وهو ادرى بما في طيات ذلك المجتمع الارستقراطي « الذي عاصر حروب نابليون وتلاها » من رذيلة وتفسيخ . فتألم لريائهم ، وامعن في ازدرائهم، وبعد فسخ زواجه باربعة ايام غادر بلاده دونما رجعة لقد ضاع مستقبله كلورد انكليزي ، غير ان هذه الضيعة وهذا الالم ، حكتا مواهبه واندلعت منهما نار عبقريته .

عندما كتب شكسبير مسرحية « هاملت » خلق شخصية تمثل حضارة اوروبا الجديدة التي بدأت في النهضة : فهاملت يمثل رجل هذه الحضارة الحديثة ، وهو يسائل نفسه باستمرار عن غاية الحياة والموت ، ويود لو يعلم : هل لمقدرة الانسان على اللذة والشقاء اي معنى ؟ وعندما طلع القرن التاسع عشر كان هاملت ما زال نموذج الانسان في اوروبا ، وقد اعاد تصويره غوتيه من جديد في قصته « آلام فرتر » ، ثم اجاد وابدع حين خلقه ثانية في « فاوست » . الانسانية المريرة في شقائها ، والعبث في كل ما يحاوله الانسان .

فجاء بايرون ورأى شخصية فاوست في مجتمعه وفي الخارج، ولما هيأت له ظروفه ان يكون ملائماً لدور هذا البطل ، تقمص في شخصه الرغبات الهائلة التي كانت تساور فاوست، كما انه تقمص ما فيها من سخرية وخيبة امل، واذا هو يبدو للناس كانه فاوست حي حقيقي ! ومنذ ان كتب الشعر في صباه راح يردد مرة بعد اخرى انه ذاق من ملاذ الدنيا حتى عافها ، وان الاقدار انزلت به شر الاحزان ، وان تباريح احزانه الجسدية والروحية حدت به الى هجر اوطانه طلباً للنسيان والسلوى . فكان ينغمس في الملذات ولكن يهجوها ويلعنها في قصائده .

وكتب وهو في انجلترا قصائد كثيرة ، وقصصاً شعرية ابطالها ناقمون متمردون مثله ، يجمعون بين شرف النسب والشيطانية ، او يلازمهم اسى على الحياة وشعور بزوال لذتها . ولكنه عندما غادر بلاده وراح يطوف في بلجيكا وحوض الراين وسويسرا الى ان استقر في البندقية ، كتب جزءين آخرين من تشايلد هارولد يصف سفراته في هذه المناطق ، ويندب على الاطلال ، ويرثي لحال ايطاليا المستعبدة بعد ان كانت سيدة الدنيا. وتجلت الروح البايرونية الساخطة حينئذ اكثر من ذي قبل ، ولكنها روح فيها ترفع ونبل كما فيها حزن وسخط: فيها وحشة الكبرياء وفيها الم الجبار الذي قصرت دونه الناس. فهو يتمتع بالطبيعة فيقول عن تشايلد هارولد :

« حيثما علت الجبال ، كانت هي اصدقاءه ،

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحينما تلاطم الموج ، كان هناك منزله ،
وحينما امتدت سماء زرقاء وارض تتوهج ،
اشتهى الترحال فيها ،
الصحراء رفيقته ، وكذا الغابات والكهوف
وزبد اللجج الثائرة . فهي تخاطبه
بلسان يفهمه ، ابلغ من لسان بلاده

ثم يصف خروجه على المجتمع قائلا :

« ولكنه سرعان ما اكتشف انه
اقل الناس انسجاما مع الناس ، لا يشاركهم
في شيء ، ولم يتعلم ان يجعل افكاره
تستخذي للآخرين ، ولو حطمته تلك الافكار
ايام شبابه . لا يقسر على أمر ابداً
ولن يجعل من ذهنه مطية
لأنفس تمردت عليها نفسه :
شامخ الأنف ولو في الدمار
وفي وسعه ان يحيا في الدمار مستغنيا عن البشر . »

غير ان بايرون لا يتجاهل ما في هذه الكبرياء من نتائج أليمة ، فيقول :

« إن من يعل ذرى الجبال يجد
ان اشهق القمم اعمقها في الغيوم والثلوج ،
ومن يفق البشر او يقهرم
يجد الكره في كل من م اسفله .
فان تلتهب شمس المجد فوقه ،
وتحته تترامى الأراضي والبحار ،
فلن يرى حوله الا صخوراً من جليد ، والعواصف
تزمجر وتصطرع على رأسه العاري
هكذا تجزيه على الجهود التي بلغت به تلك الأعالي . »

وكثيراً ما يشعر باليأس فيقول :

« ان في يأسنا لحياة
هي حيوية السم - جذر ينبض
ويغذي هذه الأغصان الفاتكة ... »

وتبدو الروح البايرونية ثانية باجلى مظاهرها إذ يقول «ويجب ان نذكر انه ما زال في الثامنة والعشرين من عمره ، وانه ما زال جميلا تلاحقه النساء ، وتلغط اوروبا بذكره ، وما زالت كتبه تباع بآلاف النسخ » :

« الشهرة ظمأ الشباب ، ولكن لست من الشباب الان
بحيث اعد عبوس الناس او ابتسامهم
خسارة لي او جزاء على مجد عظيم
لقد وقفت وما زلت واقفا وحدي - منسيا او غير منسي .
انا لم أحب الدنيا ، ولا الدنيا احبتني ،
لم اتملق انفاسها الكريهة
ولم اثن ركبتي صاغراً لاصنامها ... »

لم يكن بايرون حتى موته ليأبه لرأي الجماهير ، ولكنه كان يعشق لفت انظار الناس الى نفسه ، والحديث عن آلامه وخيبته وكآبته والظهور لهم بمظهر الشرير الشيطاني عن طريق تلميحاته في قصائده وتصريحاته في رسائله . فقد كان يلذ له ان ينشر عن نفسه الاقاويل والتخرصات ، ثم ينظم للقوم ، عدا سفرات تشايلد هارولد ، مسرحيات مثل مانفريد وقايين : البطل في الاولى رغم سمو نفسه وعلو فكره يطوح بنفسه من اجل جريمة تخشاء تنهش ضميره ، وفي الثانية تستحثه كبرياؤه العاصية على الثورة في وجه الله وتدفعه الى الجريمة نقمة عليه . ويذكر الناس وصفه لنفسه إذ يقول :

« وقف يتامل بين الحطام وقد بان
طللاً بين الاطلال ، يستعيد
ذكر الدول الساقطة والمجد الدفين ... »

ولعله لم يخلص شعوراً في شيء كما اخلص في رثائه البندقية وروما وبلاد الاغريق . لقد رآها راسفة في الاغلال ولم يستطع الا البكاء عليها ، اذ ليس لدى الثائر ما هو اعز من الحرية . وخلاصة رايه هي ان الامم تحصل على الحرية ، فتتسع ثروتها ثم تغرق في الترف : وبعد ذلك يتطرق اليها الفساد وتزول حيويتها ، وفي النهاية يخضعها لسلطانه طاغية جبار ، قد يعيد اليها الحياة او قد لا يعيد . ولكنه كما خابت آماله في شبابه هو هكذا خابت آماله في معاصره نابوليون الذي هز العروش . لقد استبشر في نابوليون خيراً حين بزغ كالنجم في سماء اوروبا المتداعية ، غير ان البطل الكورسيكي خيب آماله في النهاية عندما تخلى عن سلطانه صاغر النفس ، بمجرد ان اكره على ذلك . وكيف يرى بايرون ، المتمرد الثائر ، متمرداً ثائراً آخر يقبل الهوان والمذلة؟ على كل ما لم يرَ في اعداء نابليون ، بما في ذلك انجلترا ، الا الحقارة . فسمى ولنغتون وغداء وقال إنه ليس باكثر من «معلم رياضة بدنية» اما الانتصار في معركة وترلو ، فقد اقام الطغاة وسحق الشعوب .

وهكذا يتبلور الجانب الآخر من شخصية بايرون ، وهو يجول في اوروبا ويستقر في ايطاليا ، ويتخذ تمرده على المجتمع الفاسد صبغة سياسية ، فيصبح متمرداً على كل سلطان غاشم .

وعندما التقى بالشاعر شلي لأول مرة في جنيف في سنة ١٨١٦ فانه التقى بمن هو صنوه. فقد كان شلي رجلاً آخر حدا به المجتمع الانكليزي الى نفي نفسه من بلاده ، فذهب الى ايطاليا ليكتب في سبيل نشر الحب بين الناس والقضاء على الظلم الذي كان يتمثل له في عبارته المشهورة « الملوك والطغاة والقساوسة » .

والحركة الرومانسية التي كان بايرون وشلي من قادتها كان من دعائمها هذا النضال من اجل الحرية والتغني بها منذ ان اندلعت نيران الثورة الفرنسية . اما زعماء الحركة الآخرون ، امثال وردزورث وكولردج وساوذي، فقد رضوا عن الحالة التي آلت اليها حكومات اوروبا بعد اخضاع نابليون : غير ان شلي وبايرون بقيا ساخطين على الحالة سخط الرومانسيين الاخرين عليها قبل الثورة الفرنسية . فكان بايرون يقول ما معناه ان حريات انكلترا هي ضرائب ثقيلة ونفقات معيشة باهظة، ومناخ غائم، ونساء تنقصهن الحرارة . ولم يكن يرى في السياسة طريقة منطقية للتوفيق بين الاضداد ، بل صراعاً شخصياً بين جماعة من الساسة الانانيين .

ولعل من امتع نواحي شخصية بايرون هذا التحول نحو السعي الى تحديد الانسانية . فهو في بحر الثلاث سنين التالية « اي من ١٨١٦–١٨١٩ » يستمر منغمساً في غرامياته وشهواته ويصدر في نفس الوقت عدداً كبيراً من اروع قصائده وكتبه الشعرية تمتزج فيها الروح الشيطانية مع شهوة الانطلاق من القيود . ومن المتناقضات الكثيرة في معتقداته انه بينما كان يحث بكل قواه على وجوب تحرر البشرية ، فقد كان يحتقر الناس بقدر ما يعشق الحرية . فقد كان يكره الناس ويزدريهم ، وهم على ما هم عليه من عادات واخلاق ؛ ولا يعد النساء الا ملهاة ، ولا يرى بأساً في معاملتهن بقسوة مريرة احياناً . غير ان هذا الكره كان جله موجهاً نحو الطبقة الارستقراطية في بلاده ، بحياتها الخالية من الفكر النبيلة او الدوافع السامية ، باذواقها المنحطة وتكالبها على المراكز ، وزواجها من اجل المال او النفوذ: وفوق هذا وذاك لادعاء هذه الطبقة بالفضيلة بينما تزخر حياة افرادها بالحماقات والرذائل التي يرتكبونها سراً .

وفي اثناء هذه الفترة اصدر قصيدته المسرحية « مانفريد » ١٨١٧ وفيها نرى البطل مانفريد في قلعة قديمة في جبال الألب يتألم بتقريع ضميره لجريمة رهيبة «لا يعينها ولكننا نعرف ان بايرون انما يشير الى اخته » راحت ضحيتها المرأة التي كان يحبها ورغم علمه الواسع لم يجد السلوى في كتبه، فانصرف الى الشهوات يبغي منها نسيان جريمته ، ولكنه لم يلق الا سأماً ، يدفعه الى مقت نفسه واحتقار الانسانية فيقول : «الألم هو المعرفة» ولكنه لا يستطيع تحمل وخز ضميره قائلاً انه قد احب من كان حبها

« ارهب خطيئة مميتة » :

احببتها ، فحطمتها » .

وعندما تتعاون معه الارواح التي كان يستحضرها بسحره على استحضار طيفها من عالم الاموات ، يسألها اتتعذب في سعير ابدي عقاباً على اثمها ؟ غير انها لا تجيبه على سؤاله . ويختفي الطيف ولا يعلم من الارواح الا انه سيموت في اليوم التالي . فتحاول الارواح ارهابه من نيران الجحيم دون جدوى ، ويأتيه كاهن يستحثه على الندم والتقوى من جديد ، ولكنه يرفض قائلاً انه لا يريد الا الموت ، وان الموت سينهي كل شيء .

ان مانفريد هو بايرون ، ولكن ، ما اشد الشبه بينه وبين فاوست الذي جعل منه «غوتيه» كما قلت آنفاً رمزاً للروح الاوروبية عندما كتب مسرحيته المعروفة . غير ان فاوست يجد السعادة في النهاية في خدمة الانسانية ، بينما لا يريد مانفريد في يأسه إلا الفناء . الا ان بايرون كان اعظم من بطله ، ولعل هذا سبب اعجاب «غوتيه» به ذلك الاعجاب الشديد . فقد رأى فيه غوتيه الروح الجرمانية التي تتنازعها بعنف قوى الروح من ناحية وقوى الجسد من ناحية اخرى : لقد رأى فيه الملاك كما رأى الشيطان. ان بايرون لم ينه حياته على غرار بطله مانفريد ، بل تحول الى بطل من ابطال الحرية ، يجد سلواه في خدمة الانسانية ، رغم ازدرائه لها. قال غوتيه : « ان بايرون شخصية لم يوجد نظيرها في الماضي شهرة وروعة ، ولن يوجد مثلها في المستقبل . »

ولكن غوتيه ، بفهمه للطبيعة الانسانية ، كان يرى ما في وقفة بايرون في وجه العالم من التصنع ، وما يعوزها من عمق في التفكير والتأمل فقال: « لم يستطع بايرون ان يجد منفذاً من اوضاع الدنيا الكاذبة التي تثير سخطه ، لانه لم يكن لديه ما هو ضروري لذلك من صبر وعلم وفضيلة وضبط نفس . »

ولا عجب، فقد كانت شيطانية بايرون شيئاً اقرب الى الحيوية البركانية : فهي شهوة الى التحرر من كل قيد ، يصحبها شهوة الى ملذات الحس ، تتفجر فيها ينابيع العواطف ، وتتمثل فيها اشكال الحياة ، من اعمال ومشاعر وافكار وفنون ومعتقدات ـ ولم يكن فيها مجال كثير للتروي وضبط النفس . وفيما بعد استقى ادغر آلن بو وبودلير الشيطانية من بايرون ، غير انها فقدت حيوية بايرون الملتهبة، واصبحت حيوية ذهنية فقط ، فيما انحطاط

الى عالم الظلام والالم الفكري والاحاسيس الدقيقة ، التي لم يكن بايرون ليعتبرها الا جزءاً ضئيلا من عالمه الوثاب وحياته المتأججة

وهكذا عاش بايرون في البندقية حياة لم تقف عند حد من المجون ، ولم تقر باي قانون خلقي ، ولكنها ايضاً خصبة الانتاج، فكان يكتب دائماً : حتى وهو يلبس ثيابه او يخلعها ، او حينما يعود متعباً من حفلة ما ، او بعد ان يكون قد شرب من الخمر ما يكفيه لان يبدأ اعظم كتبه الشعرية « دون جوان » بقوله :

« لست ادري أعلى الأرض
اقف الآن ام على السقف –
الحياة أمر خطير –
وكذلك الويسكي وماء الصودا .. »

وبينما كان شلي يتامل في مصير الانسانية وعذابها ويحاول ايجاد خلاص لها نحو السعادة عن طريق الحب والمثل العليا، كان يرى صديقه بايرون يتمرغ في حمأة من الرذائل ، فيقول في رسالة له لصديقه « بيكوك » :

«ان الروح الطاغية في «تشايلد هارولد» ، اذا كانت مصابة بالجنون ، فان جنونها اشد ما في الدنيا شراً واثماً ... وعبثاً ما وبخت بايرون على نغمته هذه ... فليس في الواقع هناك ما هو اقل سمواً من المصدر الحقيقي الذي انطلق منه احتقاره ويأسه.

فالنساء الايطاليات اللواتي يعاشرهن احقر نساء الارض – جاهلات تشمئز منهن النفس...وبايرون على اتصال باحطهن... انه في اعماق قلبه غير راض عما يفعله وشديد السخط على نفسه»

« ٢٢ ديسمبر سنة ١٨١٨ » .

وهكذا يعيش بايرون الى ان يلتقي في البندقية في ربيع ١٨١٩ بالحسناء الكونتسه تيريزا غتشولي ، وكانت قد تزوجت وهي في السادسة عشرة من عمرها رجلا فوق الستين من عمره «ولذلك لم ير المجتمع ضيراً في ان تحب شاباً» . فاحب كلاهما الآخر من اول نظرة ، وبذا بدأت الفترة الاخيرة من حياة بايرون: الفترة التي كتب فيها احسن شعره ، ولا سيما « دون جوان » ، وهي الفترة التي بدأ فيها نشاطه السياسي من اجل حرية ايطاليا . فقد كانت تيريزا تلتهب وطنية ضد النمسويين الحاكمين بلادها، وعندما ذهبت الى رافنا ، رافقها بايرون بكل ما لديه من خدم وحشم، وحيوانات غريبة من نمور وقردة وطواويس. ولكن الحكومة ادركت المؤامرات الثوروية التي كان بايرون منغمساً فيها مع الكاربوناري ، فطلبت اليه ان يغادر المكان ، فذهب مع خليلته الى بيزا ، وهناك التقى بشلي ثانية ، غير ان شلي بعد ذلك بمدة وجيزة مات غرقاً في البحر، وعندما اكتشفت جثته كان بايرون حاضراً ليساعد في حرقها على الشاطىء ، ويصب عليها الخمر ليشتد اندلاع نيرانها . ولكن الحكومة المحلية أمرته ثانية بالخروج من المكان إذ رأت فيه خطراً على سلامتها ، فذهب مع تيريزا وابيها واخيها – وكلهم من دعاة الحرية في ايطاليا – الى جنوا . وفي هذه الاثناء كان جماعة من الاحرار « اللبرانيين » الانكليز قد كونوا لجنة لتخليص اليونان من حكم الاتراك ، وكان بايرون قد اندمج في هذه القضية ايضاً ، ولذلك عين عضواً في هذه اللجنة . وفي تموز ١٨٢٣ ، اجتمع اخو تيريزا ونفر من الانكليز والايطاليين ببايرون ، ورحلوا جميعاً الى ساحل اليونان الغربي . ورغم الانشقاقات والتحزبات التي رآها بايرون بين الثوار، فانه بدأ بجمع الجنود وتدريبهم، وراح يعلل نفسه بالسقوط في ميدان الحرب . ولكنه لم يحظ بامنيته ، فاصابته حمى في ميسولونغي ، ومات في فراشه في ١٩ نيسان ١٨٢٤ . وللحال اهتزت اوروبا جمعاء للنبأ . فقد رأت في حياته كفاحاً مع القوى القائمة ، ينم عن عزم جبار وبطولة لم تكتف بمحاولة تخطي الحدود القديمة والمعتقدات البالية ، بل سعت في تخطي كل حد مهما كان نوعه . ولهذا بكاه الجميع ما عدا الانكليز كرمز لروح الحرية الناهضة ، وانتشر اثره في نفوس الناس طيلة القرن التاسع عشر انتشاراً عجيباً وتسمت شيطانيته باسمه، فدعيت البايرونية . ونحن لو اردنا ان ندرس هذه البايرونية دراسة مفصلة ، لوجب علينا ان نستعرض كل ما في القرن التاسع عشر من شعر وموسيقى ورسم . فالروح البايرونية تنبض في صور دلاكروا ، وفي موسيقى برليوز وحياته ، وفي اشعار هوغو ولامارتين والفريد دي موسيه . وقد اوحت البايرونية لاوروبا بازياء جديدة في اللباس، واساليب مستحدثة في التفكير والشعور والتألم ، ومذاهب في التصنع والغزل . ومع ان بايرون كان معجباً بشعراء القرن الثامن عشر الكلاسيكيين ، ويعد نفسه متمماً لهم في الاسلوب والفكر ، غير انه اضحى رمز الحركة الرومانسية ورسولها في العالم .

فليس عجيباً اذن ان يتجمهر الاغريق في شوارع ميسولونغي ليعرفوا مصيره يوم سمعوا خبر مرضه . فلما تجهمت السماء ثم ابرقت وارعدت ، رأوا في العناصر الصاخبة الم الطبيعة نفسها ، فقالوا : « لا بد ان الرجل العظيم قد مات » .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

معلمـة لاجئـة

الى الشموع التي تحترق لتضيء

✩

لهارون هاشم رشيد

•

غزة

•

اذيعت من محطة الشرق الادنى

✩

مع الفجر ، والفجرُ لا يشعر ، مع الفجر ، راقبتها تعبرُ
على وجنتيها احمرار يذوب وفي مقلتيها ، رؤى تُنحر
إلى أين؟ قبل انبلاجِ الصباح الى اين هذا السرى المبكر؟
الى أين .. مرت كرجع الصدى يردده جبل .. مشجر..؟
تخطى الطريقَ ... ومن لوعةٍ تكاد ، دموع الاسى تطفر

***

فقيل : لها في شقوق الخيام تلاميذ ، من أجلها بكروا
تعذب في البرد أجسامهم واقدامهم من دم تقطر
تلاميذ ... كان لهم موطن عزيز ... بابائهم ... يفخر ..
أفاقوا على صرخةِ النائبات يرجعها القدر المنذر
أفاقوا ... الى حيث لا يعرفون يضمهم السبسب المقفر
لقد شاء هذا الزمانُ المشت بأن يستثاروا ، وان يقهروا
تلاميذ ... في عصفة الكارثات على هجر أوطانهم أجبروا
إلى أن تلاقوا .. هنا .. في الخيام يضمهم الهدف الاكبر
فقد علموا،من دروس الفتاة بأن لا يذلوا...وان يصبروا
تقول لهم ، وهي تلقي الدروس وأعينهم نحوها تنظر
أحباءَ روحي ... لا تيأسوا ولو شمل العالم المنكر
وكونوا كفجر الحياة الوضيء يداعبه ... الأمل النير
صغاري : غد لكم ... فاعملوا على خير اوطانكم تنصروا
أحباء روحي ... أنا شمعة تضيء ... ولكنها تصهر
تقول ... وأطفالها ينصتون وإن كررت قولها كرروا

***

ومرت شهور ... ولم التق بها ... خلف نافذتي تعبر
تخاطبُ روحي ... وساءلتها ولا من جواب لها يخبر
وساءلت عنها خيوط الضياء ومن تحت لمح السرى بكروا
وساءلت من روحوا في المساء يهزهم .. الشفق .. الاحمر
وطوفت في اكهف اللاجئين عسى ... ولعل ... بها أعثر
وساءلت ... لم استمع واحداً يقول : أجل .. انني أذكر
إذاً ... ذهبت مثل ومض الضياء لأن الفضيلة لا تعمر
تلاشت كقطرة ماء ، هناك حوتها على رغمها الأنهر
وغابت وراء ظلام القبور كما يغرب الأمل المقمر

***

فعدت وليس سوى خيبة ترامى حوالي .. او تنشر
ومرت ليال طوال ... هناك ومرت على موتها أشهر
وغابت معلمة الناشئين وراء الظلال التي تقبر
ولكنها بقيت قصة ... على ثغر أطفالها تذكر
اولئك مَنْ مِنْ قيود النفاق على الرغم من عصرهم حرروا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ريح الجنوب

بقلم عبد الملك نوري



ينساب كالثعبان الحذر وسط القفر الجـاف ، مخترقاً فيافي الغبراء القاحلة ببطء . والشمس تتوقد فوقه بشدة وتملأ الفضاء الفارغ بشعاعها الحامي ، وكل شيء يتوهج تحتها ويشع : قضبان الحديد الممتدة في القفر واعمدة التلفون السوداء والصفائح المتروكة على الطريق والتراب نفسه . التراب الاملح البراق الذي يغطي وجه الارض الى غير نهاية .

وكانت جدران القطار واخشابه ترسل شواظاً يعتصر من كتل الاجساد المتزاحمة عرقاً ساخناً دبقاً ويلف الجميع بتهويمة سادرة مريضة .. فتنود رؤوسهم وترتجف اجسادهم بتسارق مع اهتزازات العربة القديمة .. وتبدو لهم الحياة رمادية ـ بيضاء كالسراب الذي يلتمع في الآفاق البعيدة . وقد يتبقى منها على شفاههم اليابسة مذاق مالح مرير .. هو كل زادهم عبر القفر الطويل الغافي .

وكانت عجلات القطار تغني طوال الطريق . تغني في رأس خضيرة المائل « الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر .. » ولسان عريض من الشمس يرتمي عليها خلال النافذة المهشمة ويمتد الى ابنتها العمياء القابعة الى جوارها . وكان كل شيء يثير النعاس . وكان كل شيء يزيد تعب الاجساد وثقلها . وبين الفينة والفينة تصر العجلات صريراً مزعجاً طويلا فترتج العربات وتكاد ترتطم ببعضها ثم تبدو على جانب من الطريق بعض الابنية الهزيلة الحقيرة . وتبدو احياناً الى جوارها حنفية ماء ضخمة في العراء يستقي منها بعض الركاب ويغسلون وجوههم ويعودون مسرعين الى اماكنهم الخشبية الصلدة . ولكن خضيرة لم تكن تغادر موضعها قط . كان عدد الركاب يزداد عند كل محطة . وكانت تخشى ان تفقد مكانها ... هذه الايام ايام زيارة . والمسافرون كثيرون . لحم على لحم وبعضهم يجلس في الممرات وعلى ارض القطار . آه لو كان لديها متسع من الوقت اذن لذهبت هي ايضاً مع الزوار الى كربلاء . وتبركت بتراب قبر سيدنا الحسين . هذه بركة . هذه نعمة كبيرة . في العام الماضي ذهبت فهيمة العلوان للزيارة . وعندما عادت الى القرية كان الجميع في استقبالها . واخذت النساء يلمسن اذيالها للبركة ويقبلن يديها وقدميها . آه ليت كان لها مثل هذا الشرف العظيم . هذا الحظ الكبير . انها نعمة كبيرة ان يزور المرء سيد الشهداء ويتبرك بتراب ضريحه .. اها .. نعمة كبيرة وحظ كبير .. الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر ..

وريح الجنوب الخاملة تتسلل خلال النوافذ المهشمة وتسفع بحرارتها وجوه الركاب . والذباب يلتصق على الوجوه الندية وعلى الايدي والعيون والشعور ولا يكاد يطير عنها . لقد وجد غذاءه الدسم في تلك الاجساد الغبراء الساخنة . وكان النعـاس يطيح بالرؤوس والركاب لا يكادون يحسون وطأة الذباب والتراب الذي يغطيهم . والريح تتنفس باستمرار على وجوههم اللزجة الناضحة بالعرق .

وكانت خضيرة كلما احست بالرجة . تململت في موضعها ومسحت النعاس والذباب عن عينيها الملوثتين بالصديد وتفقدت الديك الاحمر البدين الرابض في حجرها . واخذت تحدث ابنتها العمياء عن قرب وصولهم الى « البلدة » .

والقطار يتحرك من جديد . وتعود العجلات تغني في راسها باستمرار ـ الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر ..

هو القادر على كل شيء . سبحانه . ومن غيره القدير ؟ يحيي العظام وهي رميم . افيعجز عن فتح عيون العمياء؟ « قربانه » هو الله لا ينزل الى الارض ولا يستطيع احد ان يراه . ولكنه هنالك جالس في سابع طبقة من السماء . ساهر ابداً يطل على عباده المؤمنين .. لا ينام الليل ولا النهار . من يستطيع ان ينكر نعمته وبركاته ؟ وتلك الكرامات التي يقوم بها اولياؤه الصالحون ؟ اولئك الذين امضوا حياتهم الطويلة في العبادة والانقطاع عن الدنيا ، قربانه ، والشيخ محيي الدين من افضل اوليائه الصالحين لقد اخذ بعونه هو تعالى يفتح عيون العميان في البلدة ويشفي الناس المساكين . انه يضع شيئاً من بصاقه على عين الاعمى واذ بالاعمى يرى النور . ويهلل لله العظيم المجيد قربانه قربانه تعالى القادر على كل شيء قدير . لقد صاحت بها وضحة قبل ايام « ولج ظالمة . ليش تخلينها عمية هالحديثة الحلوة بنتج ؟ ودينها للبلدة كبل ما يرحل الشيخ » . والشيخ محيي الدين



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان قد فتح ايضاً عيني ابي غلوم . « الكديش » الذي وضع في عينيه « تنتريود » كي ينقذ ابنه من الجندية ويثبت انه معيل . وقد هللت العشيرة جميعها باسم الشيخ . ورحبت بالكديش عند قدومه من المحطة . ولكنه كان يدعس الناس في طريقه وهو يسب الزحام والمتزاحمين . وقد وطيء ذيل كلب . فصاح الكلب المسكين . نعم هي رأت ذلك بعينيها في السوق . كانت واقفة عند دكان القصاب جلعوط . وقال لها جلعوط ان ابا غلوم ما زال اعمى . وانه يعرف طريق البيت جيداً . ومنذ زمان هو يعيش في ديرتهم هذه .. منذ خمسين عاماً . ولكن مسيعيدة . نعم مسيعيدة . لقد فتح عينها ايضاً الشيخ محيي الدين . ويقال ان ذلك كان في المساء وكانت الشمس قد غربت . وعندما بصق الشيخ في عينيها فتحتهما في الظلام . وامرها الشيخ فرفعت عينيها الى السماء ورأت بقدرته تعالى رأت قبة السماء تنفتح وينبثق عنها نور وهاج . فسقطت على قدمي الشيخ تقبلهما بحرقة ثم اغمي عليها . قربانه قربانه تعالي . ولكن مسيعيدة لم تعد الى القرية . لقد تزوجها قريبها العزاوي واخذها الى عشيرته . ويقال ان لديه ثلاث نساء اخريات . « اوه خيه واحنا اشعلينا ؟ » الشيخ محيي الدين ولي كبير كبير جداً . وكراماته ايضاً معروفة للجميع والناس كلهم يقصدونه من جميع بلاد الله . من السند والهند ومن كل مكان . وان شاء الله تكون بركاته كثيرة عليها وعلى ابنتها خاجية وعلى كل امة محمد .. ويفتح عيني الحديثة الحلوة .. هذه القابعة الى جوارها بلا حركة كالصخرة . لعلها نائمة من يدري؟ لعلها نائمة مسكينة طوال الليل لم تنم وهي ايضاً لم تنم . وابو مزهر كذلك . كان يتقلب على البساط طوال الليل ويسعل ويسعل بشدة وقد قالت لها خاجية « يوم ماطر الفجر ؟ » وكانت النجوم ما تزال تلتمع في السماء السوداء . والديكة كانت تتصايح من بعيد ..

وتذكر خضيرة فجأة الديك الاحمر البدين الرابض في حجرها وتنظر اليه بحنان وتربت على ظهره الساخن ثم تعود الى تهويمها المنغم الرتيب — الله اكبر الله اكبر الله اكبر ..

كم كانت خاجية فرحة طوال هذا الاسبوع . علمت انها ستذهب الى البلدة مع امها ليفتح عينيها الشيخ محيي الدين ولم تعد تجلس في مكانها عند عتبة البيت صباح مساء . لم تكن تدري ما تفعل بنفسها . كانت تروح وتجيء، تروح وتجيء . لم تكن تدري ما تصنع كانت فرحة فرحاً عظيماً . ولم ترها كذلك قط لا في عرس ولا في « طهور » ولا في اي فرح . لم ترها كذلك قط آه .. « يا حبيبة يايمه » ما الذي ينقصها هذه الحديثة الحلوة ؟ هو الله الذي منع عنها النور وبقدرته تعالى سيعيده اليها . ولكن حتى ابن عمها ذاك « الجلب بن الجلب » لم يتقدم لخطبتها وهي الحديثة المسكينة قد تجاوزت سن الزواج . اوه لا تستطيع ان تنسى كلمات هذا « الجلب » قال لها وهو متكيء على باب السقيفة . وكان شعاع من الشمس الغاربة يحط على وجهه الاصفر الحليق « تريديني عكازة لبنتج العميا ؟ » وكم كان هذا القول موجعا لها وللاب العجوز وقد بكيت خاجية نعم بكيت طويلا وهي جالسة في زاويتها المظلمة . ولكن الدموع لم تظهر في عينيها كانت تنشج بصمت وكانت تحس انها عار على اهلها وعلى عشيرتها . كل قريباتها قد تزوجن الا هي . وكل قريناتها انجبن ابناء ذكوراً وبعضهن ولدن مرتين وثلاث مرات « اوه يوم او يلي عليج .. خاجية » . وتأوهت خضيرة وكادت ان تأخذها دوامة الذكريات السود . ولكن العربة الركيكة اخذت تختلج فجأة والعجلات ترسل صريرها المزعج الطويل وبناية قميئة تبدو على جانب من الطريق لقد وصل محطة ما من يدري لعله وصل البلدة التي تقصدانها . وتذكر خضيرة سفرتها قبل عامين الى نفس هذه البلدة وتلقي نظرة قصيرة خلال النافذة المغبرة . ثم تعود الى تهويمها و « الزوار » يتسلقون افواجاً الى العربات المزدحمة ويتراكمون على الركاب وعلى كل شبر خال من الممرات باجسادهم وذبابهم ومتاعهم الثقيل . وتتعالى شتائم وصرخات من هنا وهناك . وتبدأ معركة بالايدي في رأس العربة الطويلة . ثم يعود القطار الى الحركة من جديد فيهمد كل شيء . وتختلط الاجسام في عالم لزج شديد السخونة . وتهب عليها ريح الجنوب خلال النوافذ المهشمة الغبراء وكأنها مندلعة في التو من جوف تنور .

وكان الديك يحلم احلامه الغريبة في حجر خضيرة، في اطواء ثوبها الاحمر الملطخ بالطين والطحين . وقد فتح عيناً واحدة على ذلك العالم القاني بينما اغمض الاخرى تحت الكف الثقيلة المطبقة على ظهره وعلى شطر من رأسه . لم يكن يريد ان يتململ . فقد كانت وطأة الكف تشتد عليه كلما تململ او همّ ان يتحرك . ولذا مكث ساكناً ينتظر ساعة الخلاص ويرقب الركاب احياناً بعينه المفتوحة وفي رأسه الصغير تنبعث ذكريات امس سعيد : الحبوب التي كان يلتقطها في باحة السقيفة . والفضوة الواسعة يمرح فيها بخيلاء . وظلال النخيل . والاسرار الصغيرة اللذيذة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكتشفها في كرات الروث الذهبية وجريدة النخل المنطرحة على الارض يتربض عليها كل صباح . وثمة « الطوف » يعتليها ليطلق من فوقها صيحاته القوية المليئة بالفحولة والشباب . واخيراً تلك الدجاجة البيضاء الحبيبة يداعبها بضع مرات في اليوم ويحس احساساً لذيذاً بفحولته وينتفخ زهواً وثقة بالنفس . فينقض على الديك الآخر غريمه بكل ما اوتي من قوة وبأس ويحطمه تحطيما ويكاد يجهز عليه . اما الان فهو لا يدري الى اين يساق . واي مصير سيكون مصيره . انه لا يعلم شيئاً من امره، فقط يحس هذه الرجات الغريبة التي تفزعه بين آن وآن وهذه اليد الثقيلة التي تكاد تعيق تنفسه ولكن لماذا يبالي . اجل .. لماذا يبالي ؟ كل شيء له نهاية . وفي كل مكان توجد حبوب لذيذة وكرات روث ذهبية ودجاجات بيضاء جميلات وغرماء ضعاف يحلو معهم العراك . وارض عشباء وفضاء واسع لماذا يبالي ؟

واغمض عينه المفتوحة واخذ يصغي الى حشرجة الحياة الغريبة المضطربة حواليه وكانت بطن خضيرة تعلو وتهبط بانتظام ، وقلبه الصغير ينبض في اطواء الثوب الاحمر الراهل تحت العباءة الخشنه السوداء ، وهو يحس بحرارة شديدة لا تطاق حرارة تكاد تخنقه وتقضي عليه . ولكنه لم يكن يستطيع ان يتململ او يهم بالحركة تحت وطأة تلك السكف الثقيلة المنتشرة فوقه كالعنكبوت .

وكانت خاجية قد اسندت رأسها المشدود بعصابة سوداء الى كتف امها وراحت في سبات . وكانت خضيرة تحلم بالبلدة وبكرامات الشيخ محيي الدين . وتذكر سفرة الصباح الباكر على ظهور الحمير . لقد كانت سفرة متعبة .. كثيرة المشقات . وقد احست بوجع شديد في ظهرها . واصابها رعب هائل عندما اجتاز بها الحمار ذلك الجدول العريض واخذت حوافره تتزلق على الحصى المنتشر في القاع ، وكانه يوشك ان يسقط في كل لحظة ولكنها خشيت ان تنبس بحرف واحد . كان ابنها البكر « فدوه لعيونه » منزهر كان ينهرها بشدة كلما ابدت شيئاً من الخوف « وشدعوه خايفة على هالروح الجايفة ؟ » « خلك حرمه عجوز مثل الطكاكية السايفة » .

« صدقه لعمره شكد راسه حار » ولكن قلبه حنون حنون جداً كقلب المرأة . وقد قاد حمارها بنفسه عند ارتقائهم ذلك المرتفع المخيف المنحدر انحداراً شديداً وكانت هي قد تكومت على رقبة الحمار وكل عضو في جسدها يرتجف خوفاً . وكانت



تخشى على خاجية ايضاً .. تخشى عليها من السقوط . ولكن الحمد لله كل شيء انتهى بسلام وكم احست براحة عظيمة في ذلك الممر الطويل بين البساتين حيث طلعت عليهم الشمس ولم يكن الهواء قد سخن بعد. كان بارداً لذيذاً وقد تمنت ان تنام على ظهر الحمار انها لم تنم طوال الليل وكذلك خاجية وابو مزهر المسكين كان يسعل يسعل بشدة ويكلمها بين آن وآن وقد وقف عند باب السقيفة يودعهم والدنيا ما تزال مظلمة والنجوم تلتمع في السماء السوداء ولم يصلوا المحطة الا بعد ان ارتفعت الشمس واخذت تصليهم بحرارتها .وقد شربوا الشاي جلوساً على ارض المحطة ـ تلك الخربة العارية المبنية بالطوف . وعند قدوم القطار سلمها ابنها النقود والديك الاحمر الوقح « ديري بالج عليه.ومن توصلون بيعيه . يكولون ديج عثر مثل هاذ يجيب بالبلدة خمس دراهم » وتلك كانت بالطبع اجرة الشيخ محيي الدين . فان النقود التي اعطاها اياها قلما تكفيها اجرة للقطار ومعيشة يوم . والشيخ محيي الدين لم يكن يرضى باقل من خمسة دراهم . وقد قالت لها وضحة انها اذا نقصت فلساً واحداً فان الشيخ يغضب وكرامته لا تظهر .وبالتالي لن تنفتح عينا ابنتها بل تعود عمياء الى القرية كما خرجت منها وكما حدث لكثير من الناس.ذلك لان النقود التي تعطى الى الشيخ انما ترسل لترميم قبور الاولياء ولا يجوز العبث بها ولا يجوز التقليل من مقدارها . اوه لعل الله يسهل لها الامور فتبيع الديك في البلدة لقاء خمسة او ستة دراهم هنالك الناس اغنياء « اوادم مأصلين . ولد حمولة » عندهم فلوس كثيرة . ولا بد ان يشتري احدهم منها هذا الديك ..

الله اكبر الله اكبر الله اكبر .. آه لم تنم طوال الليل وتتثاءب وعلى وجهها تتنفس ريح الجنوب خلال النافذة المهشمة .ويرتخي رأسها المثقل على الجدار الشائظ .وتخف وطأة الكف المنتشرة كالعنكبوت فوق ظهر الديك . فيفتح عينيه وينظر الى الركاب المهومين باستغراب . ثم يعود هو الآخر الى تهويمه ويدس رأسه الصغير في الهواء البطن المتكرشة الحارة .

وخضيرة تبسم لاحلام ناعسة انطبقت عليها جفنيها المقروحين والذباب يشرب اللعاب من زاويتي فمها الواسع ويتجمع على صديد عينيها ويغطيها باجنحته الدبقة السوداء...والقطار ما ينفك ينساب كالثعبان الحذر تسطع فوقه شمس الظهيرة وتملأ بشعاعها الحامي ذلك الفضاء الفارغ الميت المنبسط الى غير نهاية .

قبل عامين ايضاً ولم يكن مثل هذا الزحام . وذلك الجندي الذي ينفخ بالمزمار اغاني الدبكة . وصاحبه الذي يرقص «.. اوه وبعد غد ستعودان وتكون عينا خاجية مفتوحتين بعون الله وببركات الشيخ محيي الدين تحلق من جديد وترى الشمس والركاب وكل شيء. مسكينة ما الذي رأت من حياتها ؟ «عميه ، عميه» والولد يروحون ويجيئون ويكفخونها على راسها ، وهي صامتة لا تتكلم . تجلس وحيدة عند عتبة الباب منذ شروق الشمس حتى غروبها . غداً يكتب لها عمر جديد . فقط لو سهل الله الامور وباعت الديك . وسيتقدم ابن عمها كالكلب الحقير ، وسيكون «السباك» هذه المرة غالياً «يا محفوظ» ، اين يجد مثل هذه الحديثة الحلوة ؟ لو يفتش الديرة باجمعها..لو يفتش العالم كله الطول مثل الشطبة والشعر للركبتين والانف صغير منمنم كانه تمرة . اين يجد مثل خاجية ؟ وعندما تنفتح عيناها « يا حبيبة يا عه » سينبهر الناس جميعهم بجمالها... وكم سيفرح مزهر وابوه والولد جميعهم،ومزهر ينتظرهم عند المحطة مع الدواب،والمرتفع المخيف والجدول العريض ، والحمار تنزلق حوافره على الحصى المنتشر في القاع .ولكنها لن تخاف لن تخاف هذه المرة،والاصحاب والاحباب جميعهم يخرجون لاستقبالها ، والنساء ترتفع زغاريدهن الى السماء . ووضحة تصنع في المساء خبز العباس وتوزعه على « الخطار » فقط لو يسهل الله الامور ، وتصلان الى البلدة ... انها متعبة متعبة جداً لم تنم طوال الليل .

وتتثاءب من جديد ـ الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ... وابو مزهر ايضاً لم ينم . مسكين هذا الاب العجوز ، كان يسعل بشدة ويوصيها بين آن وآن .

« هج حفنة ، حفنة تراب من جوه رجل الشيخ للبركة...»

« والبنت لما تفك عينها من قدرة الله ، لا تخلينها تشوف الشمس ...»

« والديج حافظي عليه زين .. وبيعيه بخمس دراهم ... »

حفنة تراب .. نعم ، بل حفنتان واكثر. غال وطلب رخيص وخاجية تضحك في الشمس .. الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر والقطار يهتز مثل «الكاروك»والجندي ينفخ بالمزمار، والدواب تنتظر في الظل عند الخربة المبنية بالطوف ، والجميع يفرحون ، ومزهر يحضر لها «قوري جاي مخدر جديد» والاحباب كلهم يخرجون لاستقبالها ...

وتتثاءب مرة اخرى.. اوه انها متعبة جداً. وتغني العجلات طوال الطريق ـ الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر . وتهب الريح خاملة ثقيلة محملة بالغبار ، ويسقط رأس خضيرة على صدرها ، وينام فيها كل شيء ... وتهمد اعضاؤها الخدرانة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتغط في سبات عميق ، ويرفع الديك الاحمر راسه الصغير وينظر باستغراب ... ؟

ان الكف الثقيلة قد سقطت عن ظهره الى الطواء ذلك الثوب القاني .. شديد الحرارة . كان في عالم كله احمر وكله يشتعل . وقد خيل اليه احياناً انه يوشك ان يحترق . وكان الفزع ياخذه من كل جانب . انه الان يتململ دهشاً في حجر خضيرة، ويرفع رأسه الصغير وينظر بعينيه الصفراوين الى الاجساد المتكاثفة حواليه والتي تفوح منها روائح حارة فاغمة. انه يفكر الان بحبوب البطيخ ويتمنى ان يلتقط شيئاً منها بمنقاره . رائحة البطيخ تفعم خيشوميه الصغيرين ، وهو يريد ان يسمع تلك النقرات اللطيفة يحدثها منقاره على الارض عندما يتناول شيئاً من الحبوب . ان في حوصلته جوعاً شديداً ، وهو لم يأكل منذ الصباح الباكر . لقد التقط شيئاً من فتات الخبز الممرغة بالتراب في تلك الخربة المبنية بالطوف . وكم تمنى ان يعتلي جدرانها المهدمة ويطلق من فوقها صيحاته القوية المليئة بالفحولة والشباب. معلنا فرحه بالنهار الجديد ، منادياً اخواناً له مجهولين تطويهم الابعاد السحيقة . ولكن الكف الثقيلة ما لبثت ان اطبقت على رقبته عندما قدم هذا الثعبان الاسود الجبار. لقد كان يطلق زفيره نحو السماء ويهز الارض بمشيته. ولذا اشتد الفزع في قلبه الصغير وبقي طوال الطريق منزوياً في ذلك الحجر الاحمر الملتهب تحت الكف الشاحنة الثقيلة ولم يكن يستطيع ان يتململ . ولكنه الآن ينتصب على رجليه وينفض الخدر عن جسده المدعوك . حقاً ، لا يوجد الآن ما يعيق حركته ان حياة جديدة بدأت له هذه اللحظة بالذات، رغم ان هذا الثوب الاحمر الراهل ما يزال يعلو وينخفض بانتظام . وفي كل مرة يرسل ضباباً خانقاً شديد الحرارة ، وانه ليسمع ايضاً صوتاً غريباً ينطلق من منخري صاحبته العجوز ويزيد حرارة هذا الجحيم الذي يطبق عليه . ولكنه مع ذلك يشعر الان بمزيد من الحرية. لقد رفع رجله اليمنى ووضعها برفق على الفخذ المكتنزة تغطيها العباءة الخشنة السوداء وتنفس بعمق ، ولكن وضعه ذلك لم يكن مريحاً . وبعد تامل طويل وبعد ان نظر حواليه مراراً ، وتاكد من سلامة خطوته ، سحب رجله الاخرى الى جوار الاولى ووقف فوق العباءة، لا يدري ما يصنع؟

لقد اخذت تفزعه من جديد تلك الاصوات المتواردة اليه من حيث لا يدري — زفير وصفير وضجيج — من النوافذ المهشمة ومن الهواء الحار ومن تحت هذا الثعبان المجوف الذي يسير به الى حيث لا يدري ايضاً . انه في حالة فزع شديد جداً ... وقد حاول ان يجثم ثانية في مكانه الاول ، ودفع رجله اليسرى الى الوراء — الى الطواء الدشداشة الراهلة الحمراء — ولكنه ما لبث ان ذكر الجحيم الملتهب ، والكف الثقيلة ، وتلك الحرارة التي لا تطاق . فعاد الى وقفته فوق العباءة السوداء ، فوق الفخذ المكتنزة المترجرجة . ولكن المركبة الغريبة اخذت الان تترنح وترتج بشدة ، وتصفر صفيراً عالياً غريباً ، كاد ان يصم اذنيه . ثم وقفت فجأة وكأنها اصطدمت بجدار صلب سميك . واحس بهزة شديدة — كأن يداً دفعته من خلف ، ثم وجد نفسه وحيداً على ارض المركبة ، وقد فتحت الباب بشدة واندلع منها لسان من الشمس بهر عينيه الصفراوين برهة قصيرة . ولكن الشمس ما لبثت ان تراجعت واظلمت ولم يبق منها الا القليل. كانت اجساد اخرى تتسلق الى المركبة ، واقدام كثيرة متزاحمة تطأ كل شيء في طريقها ... اقدام ، اقدام ، اقدام ، ولا شيء غير الاقدام. وقد خشي الديك على حياته وطغى عليه النزوع الى البقاء. فاخذ يصيح صيحات قصيرة كالدجاجات الفزعة ويضطرب حائراً بين الاقدام ...

الشمس ، الشمس ، كان يريد الشمس فقط . وعندما غمره شعاعها من جديد ، وجد نفسه يهبط الى ارض اخرى — ارض صلبة ثابتة. ووجد لدهشته انها لا تتحرك كتلك المركبة الغريبة ذلك الثعبان المجوف المخيف. واحس للمرة الاولى منذ بدء السفرة اللعينة انه حر من كل قيد ومن كل ما يخيف وله ان يمرح ويسرح في هذه الارض الواسعة التي لا تحدها حدود وان كل ما فيها من ثروات وخيرات تحت متناول منقاره .. وهو يعود الآن كريماً عزيزاً الى تلك الطبيعة الخالية من بني الانسان .

واخذ يتامل بسرور كل ما يحيطه ويجتاز باطمئنان عميق اسلاك المحطة القفراء .. نحو جمهرة النخيل — نحو الفيء والماء والانثى والطعام .

وعاد القطار ينساب ببطء ، تحت وهج الظهيرة محملا بكل تلك الكتل الثقيلة من اللحم الساخن اللزج .. وخضيرة تبسم لاحلام ناعسة اطبقت عليها جفنها المقروحين . والذباب يشرب اللعاب من زاويتي فمها الفاغر ويتجمع على صديد عينيها ويغطيها باجنحته الدبقة السوداء . وريح الجنوب ما تنفك تهب على وجهها خاملة ثقيلة خلال النافذة المهشمة — تحمل لها ولحاجبة الراقدة الى جوارها وللركاب جميعاً ذلك الخدر المريض الذي يجعل من الاحياء انصاف احياء .

بغداد

عبد الملك نوري

ARCHIVE Archivebeta.Sakhrit.com

الرحيل الاول

•

قالت: حديقتنا؟ اتبقى في الربيع بلا زهور؟
قلت: اهدئي؟ بعد الربيع
سأهيم وحدي في البحار النائيات
مغنى النساء الساحرات
والخمر والدم والدموع
ودليل مركبي الجسور
عينان خضراوان. انفاس الحياة
ليلا تهب عليّ من حقلي البعيد
حيث الشموع المطفآت
في مخدعي المهجور تنتظر اللهيب
وخيال امي الراعش الباكي الكئيب
تومي اليّ بان اعود
والي خطا «ساعي البريد»
تصغي، وتصغي «ليس في الدنيا جديد»
حتى الرسائل لا تعيد...
«صلي لاجلي انت ياماما؟ من وطني البعيد»
وتظل تلثمها كأن غلافها وجهي الكئيب
وحيث اخوتي الصغار
يتساءلون متى اعود
والليل يمضي والنهار
وانا انا وحدي اجوب
عرض البحار مع الضروب
ودليل مركبي الطروب
عينان خضراوان. آلهة الربيع
من عالم الموتى تطل عليّ، من افق الدموع
ان ضاع امسي في انتظارك ايها النجم السعيد!
فغدا على الامواج ايماني يعود
بك ايها النجم السعيد!

بغداد — عبد الوهاب البياتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت
استاذ في العلوم

الفصل الرابع

أصنام عمرو بن لحي

وللاصنام التي استحضرها عمرو بن لحي من جدة ، والشام او العراق اسطورتان طريفتان ، نلخص الاولى فيما يلي :

كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين، ماتوا في شهر ! .. فجزع عليهم ذوو اقاربهم ، فقـال رجل من بني قابيل : يا قوم هل لكم ان اعمل لكم خمسة اصنام على صورهم؟ غير اني لا اقدر ان اجعل فيها ارواحاً ! قالوا : نعم ! فنحت لهم خمسة اصنام على صورهم ونصبهـا لهم .. على عهد يردى بن مهلايل(١) !! فكان الرجل يأتي اخاه من هذه الاصنام وعمه وابن عمه ، فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول!

ثم جاء قرن آخر،فعظموهم اشد من تعظيمهم في القرن الاول!

ثم جاء القرن الثالث فقالوا : ما عظم اولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله .. فعبدوهم ، وعظم أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم ادريس نبياً ، فكذبوه ، فرفعه الله اليه.

ولم يزل امرهم يشتد حتى ادرك نوح « فليلاحظ اذاً ، ان عبادة الاصنام تمتد الى ابعد من نوح » فبعثه الله نبياً ، وهـو يومئذ ابن اربعمائة وثمانين سنة ! فدعاهم الى الله مائة وعشرين عاماً ، فعصوه وكذبوه ، فامره الله ان يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة ، فعلا الطوفان وطبق الارض كلها ! واهبط هذه الاصنام من جبل « نوذ »(٢) وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من ارض الى ارض حتى قذفها الى ارض «جدة» ثم نضب الماء، وبقيت على الشط فسفت عليها الريح حتى وارتها !

وكان للكاهن الخزاعي « عمرو بن لحي » رئي من الجن جاءه مرة وقال له: عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة!.

قال : ـ جير .. ولا اقامة !

فقال الرئي : إيت ضف « جدة » تجد فيها اصناماً معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب !

فاتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة. وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة !

واجابته القبائل كلهـا ، فدفع الى كلب « وداً » حيث اقر بدومة الجندل والى هذيل « سواعا » وهي اول من اتخذ الاصنام من ولد اسماعيل وغيرهم فكان لهم برهـاط من ارض ينبع . والى مذحج واهل جرش « يغوث » وكان بأكمه في اليمن يقال لها مذحج . والى همدان « يعوق » فكان بقرية لهم يقال لها خيوان على ليلتين ممـا يلي مكة . والى حمير « نسرا » فكان بموضع من سبأ يقال له بلخع .

ولم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث الله النبي فامر بهدمها(١)

اما الاسطورة الثانية فتتلخص بان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره ، فلما قدم مآب من ارض البلقاء ـ وبها يومئذ العماليق ـ رآهم يعبدون الاصنام ، فقال لهم مـا هذه الاصنام التي اراكم تعبدونها ؟ قالوا : هذه اصنام نعبدها ونستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ! فقال : افـلا تعطوني منها صنما فاسير به الى ارض العرب فيعبدونها ؟!فاعطوه صنما يقال له هبل ! فقدم به مكة ونصبه وامر النـاس بعبادته وتعظيمه . ومنهم من يقول انه احضر « هبل » من هيث من ارض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة(٢) وهيث هـذه بلدة تاريخية تقع « على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار »(٣) وهي اليوم بلدة عامرة بالسكان ارضها معدنية يكثر فيها القار .

ومن الممكن ان تـكون رواية احضار هبل من مآب او هيث صحيحة بالنسبة الى كون هبل غريباً في الاصل عن العرب، وان كانت عناصر الرواية خرافية محضة .

هذا ، وفي الاسطورة الاولى خيال بديع يحـاول ان يضع

(١) ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ! !
(٢) و«نوذ» الجبل الذي اهبط عليه آدم بارض الهند...وهو أخصب جبل في الارض !! «ص ٩١٣ ج ٤ معجم البلدان »

(١) راجع ص ٩-١١، ٥١-٥٩ كتاب الاصنام ، ص ١٤ تاريخ ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ج ١ - بولاق ١٢٨٤
(٢) يراجع السيرة ص ٥١ ، كتاب الاصنام ص ٨ وأخبار مكة ٥٨
(٣) ص ٩٩٧ ج ٤ معجم البلدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليلا جميلا لميل الانسان الى تجسيد ما يحب ، واشارة الى تقديس الموتى منذ القدم .. وعلى مر الزمن تذهب العلل ويبقى المجسد رمزاً مقدساً تحف به الاساطير والخرافات .. وتقدم له شعائر وطقوس مختلفة تجاري العقلية الفطرية التي ترقى به حتى تجعله الاهاً معبوداً .

ويرى المخرفون فجوة عظيمة بين الحوادث في اسطورة آلهة قوم نوح المذكورة فيطمرونها بجرف هذه الآلهة رأساً من الهند الى شط جدة .. وتغطيتها بالرمال آلافاً من السنين حتى يكتشفها جني فيدل كاهنه الخزاعي عليها ، فيستثيرها هذا ويستحضرها .. ثم ينشرها بين قبائل العرب .

وفي الاسطورة الثانية محاولة لكشف القناع عن اصل دخول كثير من اصنام العرب ومعبوداتها الجاهلية الى بلاد العرب . وفيها بنفس الوقت ، بذور لحقيقة اولئك الاقوام التي حفت بالجزيرة العربية من الشمال ؟ وتأثير خرافاتهم بمعتقدات العرب ، بغض النظر عن نمو تلك البذور في ارض خصبة بالاساطير ، مجدبة من الحقائق التاريخية .

الفصل الخامس

آلهة مختلفة

اساف ونائلة :

ويمكن الاستنتاج من بعض ما بين ايدينا من المصادر انه كان لجرهم مجسمات مؤلهة سبقت ما احضره الخزاعي الكاهن من آلهة وما ابتدعه من عقائد .

فهنالك صنما إساف ونائلة . والرواية تقول ان اسافا ونائلة من جرهم ، اقبلا حجاجاً ، وكان يتعشقها في بلاد اليمن، فدخلا الكعبة ، ووجدا غفلة من الناس ، وخلوة في البيت ، ففجر بها فمسخا حجرين .. ثم اخرجا فوضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما .. فلما طال مكثهما ، وعبدت الاصنام ، عبدا معها وكان احدهما بلصق الكعبة والاخر في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة الى الاخر ، فكانوا ينحرون عندهما . وقد عبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب(١)

وهما ، وان اخذا ونصبا حول الكعبة في زمان ابن لحي ، الا ان ذلك كان قبل ان يقدم بهبل وغيره من الاصنام(٢) .

ومن الروايات ما لا يخلو من حمل اساف ونائلة من البلقاء كغيرهما من الاصنام قال زيدان : « ذكروا انهما صنمان .. حملهما عمرو بن لحي ايضاً من البلقاء فوضعهما على بئر زمزم بالكعبة ، ثم وضع احدهما على الصفا والاخر على المروة . فربما كان هذان وهبل مثلثا وثنيا ، ومثلثات الوثنية كانت شائعة عند الوثنيين في الازمنة القديمة . والغالب في هذه المثلثات ان يكون كل منها مؤلفاً من رجل وامرأة وغلام . وامثلة هذه المثلثات كثيرة عند المصريين القدماء والكلدانيين وغيرهم(١) » .

والظاهر انهم كانوا يتناقلون قصتهما في الجاهلية ، فقد سمعت عائشة تقول : « ما زلنا نسمع ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، احدثا في الكعبة فمسخهما الله حجرين(٢) » ويفهم من الازرقي انهما كانا يلبسان ثياباً فكلما بليت اخلفوا لهما ثيابا جددا(٣)

ومن قبيل حديث اساف ونائلة ما ذكروا من ان رجلا يقال له اجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى ، وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء ، يجتمعان في منزلها ، ولما شعروا بهم فروا فتبعوهم وقتلوا سلمى على الجبل المسمى باسمها وأجأ على الجبل المسمى باسمه ، والعوجاء على هضبة بين الجبلين فسمي المكان بها(٤) .

والخلاصة انهما تمثالان حجريان جرهميان ، تحاول القصة خلق تعليل لوجودها . ولما كانا رجلا وامرأة ، برز العشق موضوعاً لحبك العلاقات بينهما حتى كان منها ما جعل الخرافة تمسخهما حجرين في ذلك المكان الرهيب ، حرمة له ، وموعظة للناس . وما اشبه هذه القصة بخبر حديث معناه عن رجل وامرأة وجدا صريعين في مزار ينسبونه الى ولي ، يقع في مكان مرتفع على شاطىء فلسطين شمالي يافا . وقد كان في حالة اتهمتهما بانهما احدثا نكرا في حرم ذلك المزار ، وحيكت على الاثر روايات تتمخض بالشعور الديني نحو الاولياء وكراماتهم . مما يظهر ما لهؤلاء ومزاراتهم من الرهبة والاحترام في نفوس العامة .

غزالا مكة :

واذا كان اساف ونائلة تمثالين اوصنمين من حجر على صورة انسان فقد كان لجرهم ايضاً تمثالا غزالين من ذهب .. ولسنا نعرف من طبيعة هذين الغزالين وشعائرها شيئاً ، وكل ما جاء في « السيرة » و « اخبار مكة » ـ والاخير اوسع ـ ان عمرو ابن الحارث بن مضاض الجرهمي بعد ان نفت خزاعة جرهما عن

---

(١) ص ٩ ، ٢٩ كتاب الاصنام (٢) تاريخ ابن خلدون ص ١٥ ج ١

(١) ص ٤٠ زيدان ـ انساب العرب القدماء مطبعة الهلال ١٩٢١
(٢) ص ٥٤ السيرة (٣) ص ٧٥ اخبار مكة
(٤) ص ١٤٣ ج ١ معجم البلدان ، ص ١٩١ ج ٢ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ مصر ١٣٤٨

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكة خرج بغزالي الكعبة وكانا من ذهب . ثم قام هو وبعض ولده في ليلة مظلمة ، وحفر في موضع زمزم الذي كان قد نضب ماؤه ؟! ثم دفن الغزالين مع ما دفن(١) الى ان كان من امر عبد المطلب وحفره زمزم حيث وجد الغزالين ووجد في البئر ايضاً اسيافاً وادراعاً . ولما طالبت قريش بهذا الكنز لتحصل على نصيبها منه ، ضربوا بالقداح امام هبل ـ كما سنرى بعد ـ فخرج قدحا الغزالين للكعبة ، وقدحا الاسياف والادراع لعبد المطلب الذى زين بالجميع باب الكعبة ، فكان اول ذهب حليت به الكعبة فيما يزعمون(٢) .

آلهة على شاكلة الحيوان

ويستدرجنا بحث الغزالين الى التساؤل عما كان بينهما من التشابه وبين العجل الذهبي الذي عبد الاسرائيليون به « يهوه » في معابد فلسطين الشمالية ، وبالافعى النحاسية التي كانوا يضحون لها ، والتي يقال انها من صنع موسى نفسه(٣) والى القول انه كان للعرب مؤلهات تحمل اسماء حيوانات وان كانت هذه الاسماء قليلة العدد . ترى في التاج ان « الاشهل » صنم . ومنه بنو عبد الاشهل لحي من العرب ، فهل يمكن الاستنتاج من «عبد الاسد» انه كان هنالك بينهم إله باسم هذا الحيوان ؟ ومن هذا القبيل نرى في المعاجم ان « العوف » من اسماء الاسد لانه يتعوف بالليل بمعنى يطوف ويفترس . والعوف الذئب ايضا . وفي الفيروز أبادي : العوف صنم . وله معان اخرى منها قولهم : والعوف طائر ، والديك ، والحظ وغير ذلك . يقول نلدكه : ولعوف خاصة معنى التفاؤل ، ومن الممكن ان لا يكون اسم هذا الاله من الطائر ، وانما من الفال المتعلق به ، وفي هذه الحالة يكون « عوف » مرادفا « لسعد »(٤) .

اصنام نوح :

اما اصنام قوم نوح(٥) فكان منها ما هو على صورة الحيوان ، قال زيدان : « وكان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر »(٦) وقد عرف الاخير بصيغته الارامية « نشرا » واعتبره التلمود وبعض الوثائق السريانية إلهاً عربياً(٧) . ويؤخذ

(١) ص ٥١ ـ ٥٣ اخبار مكة (٢) ص ٩٤ السيرة
(٣) ص ١٣٩ جـ ٧ Enc. of Religion and eth
(٤) ص ٦٦٣ جـ ١ نفس المصدر
(٥) القرآن الكريم س ٧١ آية ٢٢-٢٣ (٦) ص ٣٩ انساب العرب
(٧) ص ٦٦٤ جـ ١ Enc. of Religion and eth.

من كتاب الاصنام ـ كما ذكرنا ـ انه كان معبود حمير . ولم يسمع ابن الكلبي أن حمير سمت به ، لا بل انه لم يسمع له ذكراً في اشعارها ولا اشعار احد من العرب(١) ويقول ياقوت ان الاخطل ذكره في ابيات منها :

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما(٢)

وكان بموضع من ارض سبأ لم تزل تعبده حمير ومن والاها حتى هودهم ذو نواس(٣) .

وفي معرض القول عن « يغوث » يقول زيدان : « جاء في تفسير الزمخشري انه على صورة اسد ، وان عمرو بن الحي نقله من جدة على ساحل البحر الى مكة . فاذا كان مجلوبا من الخارج فالغالب انه من الحبشة أو مصر لان جدة محطة المسافر من احداها الى الحجاز . وقد وجدنا بين آلهة المصريين صنما على صورة اسد او لبؤة يسمونها « تغنوت » ، ولا يخفى ما بين هذه اللفظة ولفظ « يغوث » من المشاكلة الصورية اذا اعتبرنا ان العرب كانوا يكتبون بلا نقط فاذا كتبوا « تغنوث » التبس عليهم بين ان تقرأ « يغوث » او « تغنوث » او « تعوث » . وكثير ما وقع لهم ذلك حتى بعد تدوين التاريخ في ابان التمدن الاسلامي . فامبراطور الروم الذي حاربه هارون الرشيد يسميه بعض المؤرخين « يعفور » والبعض الآخر « فعفور » والاخر « نقفور » وهو الصواب لان اسمه الروماني « Nicebhorus » . الا يعقل ان يحدث مثل هذا الالتباس في عصر الجاهلية ؟ وعلى هذا المبدأ تحول اسم قايين الى قايبل وشاول الى طالوت وجليات الى جالوت وقورح الى قارون »(٤) .

اليعبوب

واليعبوب صنم لجديلة طيء . عبدته بعد ان اخذت منهم بنو اسد صنمهم الاول ، وبذلك يقول عبيد :

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم صنما . فقروا يا جديل واعذبوا

ويعلق محقق كتاب الاصنام على المعبود هذا في ذيل الصفحة ٦٣ بقوله : « ربما كان هذا الصنم على هيئة الفرس . لان اليعبوب في اللغة الفرس السريع الطويل ، او الجواد السهل في عدوه ، او البعيد القدر في الجري . وبه سموا افراساً مشهورة كما ترى في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي » .

(١) ص ١١ كتاب الأصنام (٢) ص ٧٨١ جـ ٤ معجم البلدان
(٣) ص ٢٦٨ جـ ٣ نفس المصدر (٤) ص ٤١ انساب العرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آلهة الاماكن :

ذو الشرى ـ وكان للعرب أصنام سميت باسماء اماكن معينة اهمها اثنان : ذو الشرى وذو الخلصة .

ولا ندري تماماً الى اي مكان انتسب الاله الاول ، فالمواضع التي كان لها «الشرى» اسماً كثيرة ، من بينها ما ذكره ياقوت في معجم البلدان قال : « والشرى موضع عند مكة في شعر مليح الهذلي » ، وفي الصفحة نفسها : « والشرى واد من عرفة على ليلة بين كبكب ونعمان »(١)

وتزداد الصعوبة في معرفة اي الاماكن الذي اعطى الاله اسمه، حينما نعلم ان عبادة هذا الاله ترجع الى عهد جد قديم ، اقدم بكثير من زمن اولئك الذين عبدوه من بني الحارث بن يشكر . جاء في كتاب الاصنام : « وكان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد صنم يقال له ذو الشرى ، وله يقول احد الغطاريف :

اذن لحللنا حول ما دون ذي الشرى وشبح العدى منا خميس عرمرم(٢)

ويظهر ان المواضع التي حملت هذا الاسم كانت على العموم خصبة ، وأشبه بالواحات ، ومثل هذه المواضع في بلاد جدباء كالبلاد العربية ، لا يستبعد ان يصبح مركز عبادة . وقد ذكر ابن هشام في سرده قصة اسلام الطفيل بن عمرو ، ان ذا الشرى كان صنماً لدوس ، وكان الحنا حمى حوله له ، وبه وشل من ماء يهبط من جبل(٣) . وعلى ما يظهر من القصة انهم يغتسلون في ذلك الحنا المحمي . فالطفيل حينما جاء من عند رسول الله مسلماً، وأتته صاحبته ، قال لها : اليك عني فلست منك ولست مني، لقد فرق بيني وبينك الاسلام ، فطلبت منه ان تتبع دينه فقال لها اذاً اذهبي الى حنا ذي الشرى فتطهري منه . فقالت بأبي انت وامي اتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ فقال: لا ، انا ضامن لذلك فذهبت واغتسلت ثم جاءت ، فعرض عليها الاسلام فاسلمت(٤) .

وغريب عنا اسم الاله الحقيقي ومميزاته الاصلية بالنسبة الى ما بين ايدينا من المصادر ، أما ان يكون ذات الاله «اله الشمس» الذي عبده النبطيون فذلك محتمل. واذا اعتبر ذو الشرى Dusares الاله الرئيسي عندهم(٥) ، فانه لم يحتل بين العرب الجاهليين المتأخرين مكانة رفيعة. خاصة ، وكان لهم في عاصمتهم سلع Petra معبد كبير لاكرامها ، وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو

(١) ص٢٦٨ ج ٣ معجم البلدان (٢) ص ٣٧ـ٣٨ كتاب الاصنام
(٣) ص ٢٥٣ السيرة (٤) راجع القصة مطولة في « السيرة » ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ (٥) ص٩٦٥ ج ١ Enc. of Islam

الشرى اي الاله المنير . وقد ورد اسمه مراراً في كتابات عيون موسى ، ومدائن صالح وطورسينا . اما كون ذي الشرى يراد به الشمس فالامر واضح من قول استرابون الذي يؤكد ان النبطيين يعبدونها ، وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ كانون اول كما افادنا القديس ايفانيوس في كتابه عهد الهرطقات. وزاد مكسيموس الصوري ان النبطيين كانوا اتخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر اسود مكعب علوه اربعة اقدام وعرضه قدمان »(١)

ومما ذكره نلدكه عنه قوله : وقد اشارت النقوش النبطية ، ونقوش الشعوب المجاورة الى هذا الاله، والى وجود اسماء تنسب اليه امثال عبد ذي الشرى وتيم ذي الشرى. كما كان الاسم «عبد ذي الشرى» معروفاً بين الدوسيين. وقد ذكر بعض مؤلفي اليونان شيئاً عن هذا الاله ، غير ان اهم المعلومات عنه ما وجد في البطرا عاصمة دولة الانباط ، فقد كان يعبد على شكل حجر اسود خام ذي اربعة اضلاع ، يبلغ طوله اربعة اقدام وعرضه قدمين ، وكان دماء ضحاياه تصب عليه او امامه ، وكانت تحته قاعدة ذهبية كما كان يتألق معبده كله بالذهب وبالهبات التي كانت تنذر له(٢)

ذو الخلصة

ومما يستشف من الحديث عن ذي الخلصة انه كان ذا مكانة رفيعة تسمو على مكانة ذي الشرى في البلاد العربية ، ولربما كان هنالك شيء من المنافسة بينه وبين ارفع بيت ديني ، وهو حرم مكة . فقد كان يحج اليه ويهدى له. وفي تاج العروس ان بيته كان يدعى الكعبة اليمانية ، ويقال له الكعبة الشامية ايضاً لجعلهم بابه مقابل الشام ، وفي بعض الاصول كان يدعى كعبة اليمامة(٣) وقد خصه النبي بحديث مآله ان طائفة من العرب يرتدون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة . قال:«لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس حول ذي الخلصة »(٤) .

وقد تضاربت آراء الاقدمين فيه اسماً ومكاناً : فقائل يقول انه بيت لخثعم ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة(٥) . وقيل ذو الخلصة الصنم نفسه(٦) . ومنهم من يقول انه كان بتبالة بين مكة

(١) ص ٩ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية « القسم الاول » بيروت ١٩١٢ (٢) ص ٦٥٣ ج ١ Enc. of Rel. and Eth.
(٣) ص ٣٨٩ ج ٤ تاج العروس للزبيدي « مصر ١٣٠٦ »
(٤) ص ٢٧١ ج ٢ مسند ابن حنبل ـ المطبعة الميمنية ، مصر ١٣١٣
(٥) ص٢٩٥ ج٨ لسان العرب لابن منظور « مصر ١٣٠٠ـ١٣٠٧ »
(٦) ص٣٨٩ ج ٤ تاج العروس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة(١) في المنطقة التي تدعى اليوم العسير(٢). والازرقي يقول ان عمرو بن لحي نصب الخلصة باسفل مكة(٣). وهو لا يضيف للخلصة « ذا » ولا يعين المكان تمام التعيين. وفي ياقوت ان الخلصة من قرى مكة بوادي مر الظهران(٤). والظهران واد قرب مكة و« مر » قرية عنده تضاف اليه فيقال مر الظهران(٥) وقد لاحظ الزبيدي هذا التضارب فقال – بعد ان ذكر الحديث النبوي المتقدم – ان الذي يظهر من سياقه هو ان الصنم المذكور فيه هو غير الذي هدمه جرير، لان دوساً رهط ابي هريرة من الازد، وخثعم وبجيلة من بني قيس، فالانساب مختلفة، والبلاد مختلفة. ثم يرى الصحة في ذي الخلصة انه الصنم الذي نصبه ابن لحي اسفل مكة(٦)

ولم يشر احد الى امكانية وجود صنمين او اكثر لهذا الاله يتجسد بها في اكثر من مكان، وليس ذلك ببعيد التصور. فتكون عندئذ عبادته سائدة في غير مكان واحد.

والقول في اننا لا نعرف مميزات ذي الشرى الحقيقية ينطبق على هذا الاله الذي كان على رأي ابن الكلبي يتمثل بمروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج(٧) ونرى من المحتمل ان تكون هذه المروة التي كانت بتبالة من نوع، ان لم تكن نفس التي نصبها عمرو بن لحي باسفل مكة، « فكانوا يلبسونها القلايد، ويهدون اليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام »(٨). ومر معنا انهم كانوا يضربون عنده بالقداح، وان رجلا « يقال انه امرؤ القيس » كسر قداحة وضرب بها وجهه، فلم يزل لا يستقسم عنده بشيء حتى جاء الاسلام، فارسل النبي جرير بن عبدالله اليه فسار بفتيان بني احمس من بجيلة فقتل سدنته، وحارب قبائله وظفر بهم، ثم هدم بنيانه واضرم فيه النار، فقالت امراة من خثعم:

وبنو امامة بالولية صرعوا ثملا يعالج كلهم انبوبا
جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها اسداً تقب الى السيوف قبيبا
قسم المذلة بين نسوة خثعم فتيان أحمس قسمة تشعيبا(٩)

ذو الكفين وذو الرجل

وهما كما يظهران من اسميهما لا ينتسبان الى امكنة كاللذين سبقاء، وانما ينتسبان الى اعضاء في جسم الانسان. وذو الكفين صنم

(١) ص ٣٤–٣٥ كتاب الأصنام
(٢) ص٦٦٣ ج١ Enc. of Rel. and Eth (٣) ص٧٨ اخبار مكة
(٤) ص ٦٦٣ ج ٢ معجم البلدان (٥) ص٥٨١ ج٣ نفس المصدر
(٦) ص ٣٨٩ ج ٤ تاج العروس (٧) ص ٣٤ كتاب الأصنام
(٨) ص ٧٨ اخبار مكة (٩) ص ٣٦ كتاب الأصنام

كان لدوس ثم لبني منهب بن دوس، حرقه الطفيل بن عمرو الدوسي، وهو يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا اكبر من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا(١)

واما « ذو الرجل » فلا يزيد الزبيدي فيه على ان يقول: وهو صنم حجازي(٢) وقد ذكر شيخو مع ذي الشرى وذي الخلصة « ذات السلام »(٣).

ولقد سمت العرب آلهتها ايضاً – ولا ندري لمَ ؟ – باسماء معنوية كمناة، ومناف، وجد، وسعد، وكسرى، ورضا، وود.

ود

وود هذا، كما وصفه من رأى خالد بن الوليد يكسره بعد غزوة تبوك: « كان تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال، وقد ذبر عليه حلتان، متزر بحلة، مرتد باخرى. عليه سيف قد تقلده. وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل »(٤) والباحث لاول وهلة يرى ان هذا الاله العربي قريب الشبه من اروس اليوناني. فهذا – وان لم يذكره هوميروس – كان إله الحب في الميثولوجيا اليونانية وهو من اقدم واجمل الآلهة اليونانية، على ان قوته لا يمكن ان يقاومها الابطال ولا الآلهة. ومن غريب الاتفاق انه كان يتنكب السهام والقوس ايضاً(٥) وهل الود في العربية غير الحب ؟! فمن اسم الاله وملامحه « كاعظم ما يكون من الرجال » وتقلده السهام والقوس تبرز لنا وجوه الشبه القريب بين الالهين. وقد ذكره النابغة الذبياني في قصيدته الميمية « بانت سعاد » المعدودة في نظره: اكمل من يمشي على قدم، والتي بعد ان ينسب بها يقول لها:

حياك « ود » فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما(٦)

ويرى زيدان به شبهاً للملك من ملوك الفراعنة، او إله من آلهة المصريين او الفينيقيين، ثم يقول: ولا يمكننا الحزم في ذلك، وانما يظهر من وصفه انه إله غريب(٧). **محمود الحوت**

(١) ص ٣٧ نفس المصدر (٢) ص ٣٤٠ ج ٧ تاج العروس
(٣) ص١٢ النصرانية وآدابها لشيخو (٤) ص٥٦ كتاب الأصنام
(٥) ص ٧٥٣ ج ٩ Enc.Brit.
(٦) في «العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين» – حياك ربي – غير ان نلدكه يرى انها في الأصل – حياك ود – (ص ٦٦٢ ج ١ Enc. of Rel. and eth.) . وكذلك ياقوت في معجم البلدان ص٩١٣ ج ٤ يرويها حياك ود، والكلبي في ص ١٠ من كتاب الأصنام
(٧) ص ٤١ انساب العرب

اولنكا العزيزة

للقصصي الروسي انطون تشيخوف

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الآنسة سميرة عزام

☆



جلست اولنكا على عتبة بابها وقد ضاقت بحرارة الجو وغاظتها مضايقات الذباب .. تنتظر هبوط المساء وتنعم ببعض الرطوبة ، ووقف كوكن وهو رجل يشغل الجناح الثاني من نفس البناية التي تسكنها اولنكا ، ويدير مسرحاً قريباً وقف يحدق الى السماء الملبدة بالغيوم التي تنبىء بمطر غزير ويصيح مطر ... مطر ... انها لن تكف عن الامطار ... ان السماء تدمرني من حيث لا تدري ، لعنت هذه الحياة ، انني ابذل قصاراي لاقدم للجمهور افضل الاوبرات ولكنه جمهور بليد لا حس له ولا ذوق وتكفيه الفرجة على السرك والبهلوانات . وهذا الطقس الملعون انه يتحالف مع العوامل الاخرى على تحطيمي فلا يدع متفرجاً يقصد مسرحي فكيف بالله ادفع اجرة الممثلين ونفقات المكان والمعدات ؟

ولما لم يجد صياحه نفعاً واستمرت السماء تمطر بغزارة اياماً متتالية راح الرجل يضحك ضحكات هستيرية ويقول : « حسناً لتمطر كما تشاء انني رجل لا حظ لي في دنيا او اخرة وليفعل الممثلون ما يشاءون ليس هنالك اكثر من السجن او النفي الى سيبيريا » .

* اذيعت من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية .

وكانت اولنكا تستمع الى ثورة كوكين مشفقة حزينة .. حتى ادى بها الاشفاق الى الوقوع بحبه فربطت حياتها بحظه السيء حين لمس عطفها وخطبها وقبلته على علاته .. انها لا تستطيع ان تحيا هكذا وحيدة دون ان تحب احداً . شخصاً ما او شيئاً ما ... في السابق احبت اباها المريض واحبت عمتها .. وقبلها احبت مدرس اللغة الفرنسية .. انها تحب كل من تلقي به الظروف في طريقها .

كان البيت الذي تملكه والذي انحدر اليها من والدها قريباً من المسرح حيث يعمل كوكين ... فشاقها ان تتساند مع كوكين على ادارة المسرح ، فتولت حسابات الفرقة ولم تنزع عن الدعاية لها فراحت تذكر امام اصدقائها ومعارفها ومن تقابله في طريقها عرضاً ان مسرحهما هو المكان الراقي الذي يصقل اذواق الناس ويرقق حواشيهم ويقوي فيهم الشعور بالانسانية ، وبعد ان تذكر تلك العبارة التي طالما سمعتها من كوكين ووعتها حرفياً تردف - « ولكن هل تعتقدون بان الجمهور يتذوق ما نقدم له؟ كلا فهو جمهور بليد لا حس له ولا ذوق حسبه الفرجة على حلقات السيرك والبهلوانات » .

ان اولنكا او العزيزة كما يحلو للناس ان يسموها لا تأتي بشيء من عندها ولا تكاد تعرف من الدنيا غير ما يقوله كوكين المسكين ، الذي عاكسته الظروف وسارت به من سيء الى اسوأ فاعتراه هزال وضعف وانهكه السعال ولم تفلح عنايتها وحدبها وعطفها في ان يضفيا على حياته شيئاً جديداً . ولما سافر الى موسكو ذات مرة بشأن من شئون الفرقة كانت اولنكا تقضي الليل ساهرة تفكر في صحته حتى وافتها في الاحد الذي سبق عيد الفصح برقية من احد افراد الفرقة تنبيها بموت كوكين الفجائي . فسافرت الى موسكو لتشرف على الدفن وما ان عادت ووضعت رجلها على عتبة بيتها حتى القت بنفسها على فراشها وانتابتها نوبة بكاء عنيفة . وقال الجيران متنهدين - « مسكينة اولنكا ، لقد بدأت تعرف معنى الهم » . وبعد ثلاثة شهور مرت على وفاة زوجها رؤيت اولنكا وبجانبها فاسيلي فوستوفولوف رجل يضع على رأسه قبعة من القش ويدلي من « الصدارى » سلسلة ذهبية يبدو معها اشبه بالملاكين منه بمدير متجر للخشب . وكان يقول لاولنكا برزانة ان لكل حي اجلا ، واذا ما فقدنا عزيزاً وجب علينا ان نتذكر ان هذه مشيئة السماء » .

واوصلها الرجل الى الباب وودعها رافعاً قبعته بادب جم ثم

انصرف في سبيله وبقيت هي تفكر في تلك العبارات الرصينة التي قالها بوستوفولوف . ويظهر ان الاعجاب كان متبادلا اذ زارتها بعد ايام امرأة من قريباته راحت تحدثها عن الرجل ، تطري عقله ورزانته وتغبط المرأة التي سيسعدها الحظ بالزواج منه . كما زارها هو بنفسه مرة لمدة عشر دقائق خرج بعدها تاركاً اولنكا « العزيزة » وقد تدلهت به حبا .

وانتهى بها الامر الى الزواج طبعا . وعاشا سعيدين ـ كان هو يعمل في متجر للاخشاب وحين ينصرف ظهراً للغداء كانت هي تأخذ مكانه من الصندوق وتعتريها حماسة اية حماسة حين تتحدث الى الزبائن بعبارات طالما سمعتها من زوجها .

« تأملوا ، لقد ارتفع سعر الخشب الخام عشرين بالمائة على ما كان عليه بالعام الماضي ، وكنا نحصل على الخشب من غابتنا اما الان فنحن نستورده ، ولا تسألوا عن الضريبة فهي باهظة باهظة ! ! وعندما تقول كل ذلك دفعة واحدة كان يداخلها شعور بالزهو عظيم وكأنما صرفت العمر كله تاجرة اخشاب .

كانت اراء زوجها اراءها بالذات ، اذا شكا حرارة الغرفة شكت هي الاخرى واذا تذمر من ركود العمل تأففت معه وكان زوجها يكره المسارح ودور اللهو فآمنت بانها تكرهها هي الاخرى حتى انها اجابت اصدقاءها حين ابدوا تعجبهم من ملازمتها للدار والمحل بقولها : « انا وفاسيلي لا نذهب قط لمشاهدة هذه السخافات الصبيانية ولدينا من العمل ما هو اكثر اهمية » .

كان شعورها بالسعادة عظيما ولما سافر زوجها الى الخارج لشراء كمية من الخشب شعرت بوحشة عظيمة لم تتبدد الا بزيارات جارها الطبيب البيطري سيمونوف الذي رفع الكلفة معها فاخذ يلاعبها الورق ويقص عليها من الحكايات طريفها وعجيبها كما حدثها ايضاً عن خصوصياته ، عن زوجه التي افترق عنها بعد ان ثبت له خيانتها وارتضى ان يدفع لها ولولده منها نفقة شهرية .

ولما عاد زوجها أنبته بما كان من امر الجار الطبيب معها كما قصت عليه قصة خلافه مع زوجه فشاركها سيمونوف رثاءها للطبيب ولابنه الذي قدّرا انه يذوب حنينا لوالده وختما حديثهما متضرعين الى السماء لتهبهما ابنا .

وهكذا عاشا معاً ست سنوات كاملة دون ان يرزقا بالولد . وانتهت المدة بوفاة الزوج المسكين على اثر نزلة حادة وعاد الحزن يعصر قلب اولنكا ، وعرف الهم دربه اليها من جديد .

فودعت الملابس الملونة ورمت بقبعاتها جانبا وعاشت في عتمة شاملة ولكن روحها الخفيفة ونفسيتها المشرقة لم تتحمل قسوة الحزن فخذلت مقتضيات الحداد وعادت تتمشى في الامسيات او تقصد السوق مع خادمها او تجالس الطبيب في الحديقة تشرب معه الشاي او يقرأ هو لها بصوت عال . وما هي الا ايام حتى اصبحت اولنكا تتحدث مع معارفها في شؤون الصحة العامة حيث العارفين :

« ان الحكومة لا تطبق التفتيش البيطري كاللازم وهذا هو سر هذه الامراض المنتشرة .. ان الميكروب يجد سبيله الى امعاء الناس مع الحليب الذي يأخذونه من بقرة مريضة . ان العناية بصحة الحيوان امر واجب تماماً كصحة البشر » .. ووجدت اولنكا في رفقة الطبيب البيطري سلواناً صرفها عن التفكير في ماضيها الكئيب القريب . ولم تكن السنة السوء تجرؤ على ان تنالها بسوء . فقد كان ايمان الناس بطيبة « العزيزة » قوياً راسخاً . وكان خلقها البسيط النزيه يرقى بها الى ما فوق الشبهات .

كانت اذا حضر اصدقاء الطبيب وزملاؤه راحت تصب لهم الشاي وتدور عليهم بالكعك ولسانها لا يفتأ يدور متحدثاً عن طاعون الحيوان والمسالخ البلدية وو ... فتستثير حنق الطبيب حتى اذا ما انصرف الزائرون امسك يدها مؤنباً ثم قال ـ « الم اوصك بان تمسكي لسانك عن الخوض في شؤون تجهلينها ! فتنظر اليه بدهشة وعيناها مغرورقتين وتقول ـ « هل اتيت بحديثي امراً قبيحاً ؟! ولكن اولنكا لم تسكت الا بعد ان سافر البيطري مع فرقته وخلفها وحيدة بلا جار او صديق او اراء تتحدث بها مع البقال والخدام والخباز وسائر الناس .

ان الاشياء والحوادث تمر بها دون ان تحرك بها احساساً او فكرة انها ترى الزجاجة او العربة او المطر او الحيوان .. فلا يحضرها شيء تقوله في هذه الاشياء .

كانت قبلا مع كوكين وبوستوفولوف واخيراً مع البيطري . تشعر بان لها كياناً اما الان فالفراغ يكاد يقتلها ويخنق فيها الشعور بالحياة .

وسارت الايام وتغيرت الاشياء وكبرت اولنكا ولم يعد وجهها الجميل يسترعي انظار الناس كما كان قبلا .

لقد صارت كهلة تجلس على كرسي وتنظر نظرات تجسم معنى الخواء وبجانبها قطة سوداء يحلو لها ان تصيح بها قائلة : « اذهبي انت الاخرى .. ماذا تفعلين هنا » ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقية !

مهداة الى ٨ - ٢ - ١٩٥٢

•

بيني و بينك
طيوف رؤى
نام عنها الزمن

وكوامن وشائج
يلفها الضباب

رويداً ...
نوقد ناراً
وهات الكأس
تهل مرة
ونريق الثمالة
تنبت طيبا

قبيل الفجر
تفر الرؤى
ويلتهم الماضي
بقايا السفد
ولن يدل علينا
الا الرماد
تذروه الريح
وعشب جف
تحمل طيبه
نسمة شاردة

رويداً ... هنا
عند الغدير ...
نودع اعماقه رقية
تغل الزمن
فتبقى هنا
حيث لا غد !

بغداد « باكزة »

وهكذا انطوى يوم وايام وعام واعوام واولنكا في وحدتها.. لا تجد شيئاً تقوله او تفكر به .

وفي يوم من ايام الصيف وكان الوقت مساء سمعت اولنكا طرقاً على البوابة فاسرعت تفتحها حين ابصرت سيمونوف البيطري يقف على الباب ببذلة مدنية وقد ابيض شعره..لم تدر ما تفعل .. اتصيح ام تبكي ام تلقي براسها على صدره..ام تقول « اي ريح اعادتك ايها العزيز » .

ـ عدت لاستقر هنا نهائياً.. لقد إستقلت من الخدمة لاعمل عملا حراً ثم ان ولدي قد صار في سن تستوجب الحاقه بمدرسة ما .. بالمناسبة لقد صالحت زوجتي .

ـ واينها !

في الفندق مع الولد انني في سبيل ايجاد مكان لنا .

ـ وبيتي ؟ تعالوا انه لكم .. لن اتقاضى منكم ايجاراً .. تعالوا ، وجاءوا.. الطبيب وزوجته النحيفة الجامدة وابنه الجميل البالغ من العمر عشر سنوات . وجاءت معهم الحياة الى قلب اولنكا وجاءت الفكرة الاولى الى راسها ، انتقلت اليها من ساشا الصغير حين جلس في المساء يذاكر دروسه فقال : إن الجزيرة قطعة من اليابسة تحيط بها المياه من نواحيها كافة . وصار ساشا يختلف الى المدرسة اما امه فقد ذهبت لزيارة اخت لها في كاركوف ولم تعد بعد ذلك . وانهمك الاب في اعماله وناديه فلم تكن اولنكا تراه الا لماماً وبقي ساشا لها ترعى شؤونه وتوصله الى المدرسة وتذاكر معه في المساء وتبكي اذا استعصت عليه عملية حسابية . كان بعض معارفها اذا رآها يسألها : كيف الحال ايتها العزيزة ؟

فتجيب ـ « ماذا اقول ؟ ان اساتذة « الجمنازيوم » يقسون في الفروض التي يطلبونها من تلاميذهم ثم تمضي في حديث مسهب عن التلاميذ والاساتذة والقوانين المدرسية وما كان اسعدها بساشا وبكل تلك الاشياء التي يقولها وتقولها من بعده . ولم تزايلها تلك السعادة قط الا حين فوجئت ليلة بموزع البريد يدفع اليها برقية من ام الفتى تطلب فيها ارساله اليها في كاركوف.لقد قرأت البرقية فجمدت اطرافها وعقد لسانها وظلت على هذه الحال حتى سمعت خطوات الطبيب عائداً من ناديه . عندها فقط ذهبت الى فراشها وقد انزاح عن كتفيها بعض ما تحمل.ذهبت تفكر بساشا الصغير وتصغي اليه وهو يهذي خلال نومه بعبارات ساذجة .

ليماسول ـ قبرص سميرة عزام



المعركة

لمعين بسيسو ـ شعر ـ دار الفن الحديث بالقاهرة

بعيشي

هذا الشرق العربي في عراك مستديم: عراك في الخارج وعراك في الداخل، عراك في النفس وعراك مع الجماعة وعراك بين طبقات انقسم اليها الناس فصاروا درجات بعضها فوق بعض

وهذه المعارك جميعاً كانت كفيلة بان توقظ هذا الشرق من غفوة طال عليها الزمان، ومن سبات استولى عليه، ولكن في النفوس ميلا الى الخنوع يرتد في اسبابه الى عوامل شتى أبعدها اثراً عامل المذلة الذي احنى الرؤوس وثبط الهمم وجعل الناس تركن الى تواكل غريب مريب. فالذل يرين على هذا الشرق، والناس تستسلم كأن الامر ليس امرها، وكأنها لا تؤدي ثمناً باهظاً من دمها ودمعها وعرقها في ظل هذا الذل.

وقد استفزت الشاعر الاستاذ معين بسيسو هاته الاحوال، فتدفق في شعره يصور الكفاح والنضال، وينخس النائمين ليوقظهم، ويبث الحماسة في الارواح التي كادت تخمد، فالوقت وقت عمل في غير تراخ، والدنيا من حولنا تتنادى: هيا الى عراك يكتب فيه الفوز لمن استكمل عدته وتأهب لشتى الاحتمالات

وديوانه « المعركة » ديوان من شعر الحماسة الملتهب، تصطك عباراته والفاظه، وتصطدم معانيه فيهيأ للمرء انه في ساحة وغى كل من فيها مقاتل، يتساقطون واحداً في إثر واحد، ولكن البند يظل مرفوعاً مشرعاً، والجنود تندفع كالتيار العارم الجارف، ومن قريب يقف القائد يناشد جنده:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لايخفك دمي يسيل من السلاح
وانظر الى شفتي أطبقتا على هوج الرياح
وانظر إلى عيني أغمضتا على نور الصباح
أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

***

هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
للثورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة
فاذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعركة
فانظر تجد علما يرفرف فوق نار المعركة
ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة.

ولكن المعركة التي يدعو اليها معين بسيسو ليست معركة إذلال، بل معركة تحرير، وبون شاسع بين الامرين، لان معركة الغزو والفتح لا تحتاج الا الى مخبول من حملة السلاح يقود جيشاً فيفتك ويقتل ويذبح في غير تحرج او ارعواء. اما معركة التحرير، فانها ثورة على كل « باستيل » للظلم وفورة على كل حصن للاستبداد وانطلاق من إسار الفاقة والمسغبة والاستعباد

وفي هذا المعنى يقول معين بسيسو:

هام هناك أخي، هناك هووا صواعق في صواعق
فانظر لمن زرع المشانق كيف تحصده المشانق
وانظر لمن حفر الخنادق كيف تدفنه الخنادق
هم قادمون أخي، لقد ركزوا على الفجر البيارق
وهوى وراءهم الظلام الميت تأكله الحرائق

وليس طريق الكفاح مرصوفاً معبداً يسير المرء فيه لا يتعثر ولا يتحسر، انه طريق عصي اكتنفته الصعاب من كل جانب وتكالبت عليه تلال المشكلات وآكامها. ولذلك كان ابطال الحرية اول المصروعين في كل عصر ومصر، لان الذين يحبون الحرية يسترخصون في سبيلها كل بذل ولو كان هذا البذل رؤوسهم تحصدها السيوف المواضي. فطريق الكفاح عسير، يحتاج الى المجالدة والمجاهدة والمصابرة، فلا عجب ان يصرخ معين بسيسو قائلا:

فطريق الكفاح صاب ووعر بلى وجهه وشدى خطاه
ملأته الاشواك والدم والدمع ولكنه الممر الممر

ثم يشير معين بسيسو بسبابته الى العدو الذي اذل الشرق واورثه البؤس الذي فيه يرعى، فيقول:

اورثوك القيود عن صنم مات فاشقاك في حياتك قبر
هم لصوص التاريخ كم سرقوا منه شعوبا ومصوا دماها وفروا
وهم المالئون أرض امانيك ظلاما يضل فيه الفجر
غير ان الحياة اقوى من الموت ولم يهزم الحياة القبر

واي قلب لا يتوجع وهو يرى في غزة هاشم بن عبد مناف مئات آلاف من البشر المشردين، هاموا على الوجوه بعد حياة

كريمة، وصاروا يتكففون الايدي بعدما كان الطعام عن موائدهم المترفة يفيض ، فكيف اذا كان الشاعر ابن غزة ، اهلها اهله ، ونزلاؤها من مواطنيه ، وخيامها المضروبة في الفيافي المقفرة تضم اعز الناس اليه ؟ انه لينزف مع العرق دماً أسى على الوطن الحزين الذي صار « قافلة من الجياع » ، وحزناً على مغاني غزة ومجاليها ، فقد استحالت الى « ارض يمشي اليها الليل فيلبسها السواد على السواد » . اما النهر ، وهو السائح العداء في جبل وواد ، فقد القى عصاه ، ولكنه القاها على الخرائب واطلال الرماد . واذ ينصت الزائر ، يسمع عواء الذئاب في كل اتجاه ، فقد غابت عن غزة شمس الحرية وصارت مرتعاً للضواري الكواسر . فاصغ الى الشاعر يقول عن غزة :

أخي في الكفاح ، أخي في العذاب أتسمع مثلي عواء الذئاب ؟
تفزع أطفالنا النائمين وتنذر احلامهم بالخراب
ويفتح أعينهم في الظلام دوي الرصاص ولمع الحراب
وتخنق صرخاتهم كالنجوم اذا خنقتها حبال السحاب

ولكن الشاعر المناضل لا يدع اليأس يستبد به ، فالأمل يطاوعه لانه مؤمن برسالته في الكفاح مطمئن الى ان الصباح « سوف يأتي ويكسر ابواب هذا الضباب » :

يضيء لنا أرض آبائنا وأرض طفولتنا والشباب
فتورق آمالنا كالغصون وكانت جذوراً ببطن التراب

ولكن لا بد للامل من عمل ، ولا بد دون الشهد من إبر النحل . فليصرخ الشاعر في بني قومه صرخة الكفاح قائلا :

فقم وادع مثلي ليوم الخلاص وميلاد تلك الاماني العذاب
وإن قيدوك وإن عذبوك وإن هددوك بشر العقاب
فلا تستكن يا ابن هذا التراب أمام وحوش الحياة الغضاب
بل اغرس قيودك في صدرها كما غرست فيك ظفراً وناب
وإن وراءك شعبا يصيح وإن أمامك فجراً مذاب

وللغاصب اساليبه يتوسل بها ليخمد في الناس روح الكفاح يرمي الفتات الى الجائعين فيلهيهم عن نشدان الحرية ، ويسكرهم ببقايا الشراب الرخيص ليقتل فيهم الهمة المتوثبة ، « ويسكنهم هاويات الخيام ويلبسهم باليات الثياب » ويشدهم كما شدت العنكبوت الذباب . ومن هذه جميعاً يجب الحذر ، ومن وراء الغيوم يجب للعيون ان تتطلع :

طريقهم ملأتها القبور ورنت بها ضحكات الغراب
ولكن خلف دجاها الكئيب تطل منازلهم والقباب

وهم يرفعون اليها العيون ولا يملكون اليها الذهاب

ويمضي الشاعر معين بسيسو في نداء الحرية الذي يردد انغامه في اسماع مواطنيه ورفاقه ، فيقول إن العقبات جميعاً تلين امام العاملين في غير ونى ، الثابتين على القصد ، المقيمين على العهد ، السائرين في طريق الكفاح لا ينظرون الى خلف ولا تخالجهم بقوتهم شكوك . فالجبال الراسخة من الوان الاستعباد اوهام وسراب ، والقيود التي تحيط بالاقدام والارساغ ستتكسر بقوة الايمان ، والفاقة الفاشية ستمضي يوم يستيقظ الشرق نافضاً غبار المذلة وأدران التكاسل :

أنا المقيد لكني سانطلق واترك السجن خلفي وهو يحترق
واخلع الكفن الدامي وقد رشحت خيوطه بدمائي وهي تنبثق
وأهدم الصنم المجنون صارخة حربتي في يديه وهي تختنق ...
هي الحياة تناديني وملء دمي احس أمواجها الحمراء تندفق
ولن يعيق خطاي الشوك مرتفما ولن يخدرني من ورده العبق

***

فاشحذ فؤوسك يا ابن الشعب مقتلما هذي القبور التي للشعب قد حفروا
وانت لا بد يا ابن النور تنتصر وأنت لا بد يا ابن الشعب تنتصر

اما القصيدة التي يختم بها الشاعر معين بسيسو ديوانه « المعركة » فهي قصيدة يشيّع فيها جنازة الجلاد . لان فجر الحرية عندما يلوح يبدد ظلمات الاستبداد الحالكة . ولان الشعوب متى ادركت طاقتها المدخرة ، لم تستطع عقبة كاداء ان تقف في طريقها مهما تكن .

هذا ديوان جديد ، صارخ في ثورته ، تنتظمه روح واحدة من اوله الى آخره ، هي روح الكفاح الذي لا يعرف مهادنة ولا مسالمة ، كفاح ينتهي بحرية مطلقة او موت زؤام فيه حرية من العبودية .

وقد يؤخذ على الشاعر معين بسيسو تكراره لبعض المعاني ، ولكن ما حيلته وهو في ثورة تهز عواطفه هزاً وترج شاعريته رجاً فلا يتمالك لعباراته ضبطاً ولا يقوى على اجتناب المعاني المكرورة

وديوانه على صغر حجمه ، ديوان فكرة حية . وقد استعان الشاعر بالكلام والرسوم لتصوير هذه الفكرة فنجح نجاحاً كبيراً يستحق عليه التقدير ، ويستحقه معه المصورون فريد كامل وحامد ندا وصلاح جاهين وحسن التلمساني الذين زانوا الديوان بتصاويرهم المعبرة .

القاهرة **وديع فلسطين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر حديثاً :

● التأملات - في الفلسفة الاولى - لديكارت - ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور عثمان أمين استاذ تاريخ الفلسفة بجامعة فؤاد الأول - ٢٥٠ صفحة - دار النيل للطباعة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة

يقول الدكتور عثمان أمين في تقديم الكتاب :

« التأملات الميتافيزيقية » من روائع المؤلفات الفلسفية على الاطلاق، وهي بلا ريب اهم اجزاء الفلسفة الديكارتية واجدرها بالاعتبار . ونظرة الى المسائل التي تناولتها الحقائق التي بينتها تقنعنا بانها اوفى ما الف الفيلسوف في الميتافيزيقيا بوجه عام ، وابدع ما كتب في النفس الانسانية ووجود الله بوجه خاص كما يشير الى ذلك النص الكامل لعنوان الكتاب « تأملات في الفلسفة الاولى : وفيها يبرهن على وجود الله وخلود النفس » .

نشر ديكارت كتاب « التأملات » سنة ١٦٤١ باللغة اللاتينية دون الفرنسية ، وكان قصده من ذلك ، كما يحدثنا هو نفسه، ان يقصر كتابه على الخاصة دون العامة ، اذ انه قد التزم « في شرح المسائل الميتافيزيقية سبيلا قل سالكوه ، وبعد عن الطريق المالوف بعداً كبيراً » ...

... الف ديكارت كتابه هذا ليعرض على الخاصة مذهبه الميتافيزيقي عرضاً علمياً منظماً . ويلاحظ ان الفيلسوف كان يحيل من اراد الوقوف على جملة نظراته في الميتافيزيقيا الى هذا الكتاب وحده دون سائر كتبه ...

... ويبدو لي ان في نقل هذا الكتاب الى لغتنا خدمة للطلاب في جامعاتنا ومعاهدنا، ولغير الطلاب ممن لهم عناية بدراسة الفلسفة، وللسواد الاعظم من قراء العربية الراغبين في الوقوف على الحركات الفلسفية الحديثة والمعاصرة التي لا يستطاع النفاذ اليها بغير الرجوع الى فلسفة ديكارت والى تأملاته الميتافيزيقية بوجه خاص »

● براكين - شعر - لنجاح جمال الدين - ٤٣ صفحة - مطبعة الرابطة - بغداد

اهدى الشاعر مجموعته الثائرة الصارخة :

« الى المناضلين الذين صرعوا وسط الطريق ...
والذين لو قدر لهم ان يبعثوا من جديد ...
لما سلكوا غير تلك الطريق ... »

● رسائل مي - ٩٤ صفحة - رسائل جبران - ١٠٣ صفحة - مع تقديم لجميل جبر - منشورات مكتبة بيروت

صفحات وعبرات من ادب مي ، وصفحات مطوية من ادب جبران ، جمعها وقدم لها الاستاذ جميل جبر .

قال انطون الجميل عن رسائل مي :

« رسائل مي يجب الاحتفاظ بها لانها نوع جميل من ادب الرسائل في الادب العربي ، ففي الادب الفرنسي رسائل لامثال فلومبير وفولتير وغيرهما ، وفي هذه الرسائل تستطيع دراسة الكاتب اكثر من دراسته في مؤلفاته . وعندي لمي بضع رسائل اعتز بها لانها اثر باق من آثارها . ورأيي ان تجمع رسائلها الى من اتصلوا ، وتنشر في كتاب خاص ، ففيها ولا شك ثروة كبيرة ، وتراث ادبي نفيس » .

وهذا ما يقال ايضاً عن رسائل جبران التي قد تكشف بعض النواحي من حياة ذلك الاديب الخالد .

● الناشر المصري - مجلة شهرية - اصدرها الاتحاد المصري العام لدور النشر والمكتبات بالقاهرة رئيس تحريرها الاستاذ محمد عبد الغني حسن ورق صقيل - ٧٨ صفحة - دار مصر للطباعة .

يقول الاستاذ شفيق متري رئيس الاتحاد المصري العام لدور النشر والمكتبات :

ان « الناشر المصري » هو دليل القارىء العربي الى الكتاب الثمين المفيد ، وهو حين يعتمد على « القارىء » فانه - في الحق - يعتمد على اقوى الدعائم التي يقوم عليها صرح النهضة المرتجاة ...

... وحين يسجل التاريخ بهذا العدد اول مجلة خاصة بالكتاب العربي الذي تخرجه مصر فانه يسجل معلماً من معالم الطريق الى النتاج الفكري الرفيع .

● عنوان النشيد - شعر لمحمود ابو الوفا - مزين بالرسوم بريشة الفنان لويس فلسطين - ٦٦ صفحة - ورق فاخر - مطبعة مصر بالقاهرة

يقول الشاعر في هذا النشيد الرائع :

لا تقل لي في غد عند السماء
سوف تلقى الروح او تلقى الصفاء
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ؟
ها هنا في الارض ان كان لقاء !
والسما والارض والكل سواء
وابتدائي كان للغير انتهاء
وانتهاء الغير لي كان ابتداء
والمساواة ، وتحقيق الاخاء
ذي هي الغاية يا روح السماء
لا ، ولكن ان يكن ثم رجاء
فليكن في الارض تحقيق الرجاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة الأديب في شهر

مغامرات بغدادي في هولندا

بقلم نعيم قطان

•••

ان العربي في باريس او في لندن ليس ظاهرة غريبة . ففي باريس مثلا نجد الحي اللاتيني والمدينة الجامعية يزخران بالعرب من شتى البلاد حتى ان عددهم في بعض المقاهي والاحياء يفوق احيانا عدد الباريسيين انفسهم . اما في هولندا فان هذه الظاهرة تكاد تكون عديمة الوجود ويكاد العربي يعتبر امرءاً غريباً يكفي مروره او سماع صوته للفت النظر . ومع ذلك فان ذلك قلما يحدث ولعل ذلك يعود لتهذيب الهولنديين من ناحية وعدم دهشتهم حين يشاهدون الاجانب . والهولنديون شعب سفر وترحال ذرعوا كافة انحاء المعمورة طولا وعرضاً

هذا في الشارع وهنا اود ان افتح قوساً واقول ان العربي في ملامح وجهه ولون بشرته لا غرابة فيه ويشبه جميع بني آدم ، اقول هذا في الشارع اما داخل البيوت ان قيض لك حسن حظك معرفتها فان الامر يختلف كثيراً . لقد كان حظي سعيداً في هذا المضمار فانا حين قلت لاحد الهولنديين الذين تعرفت عليهم صدفة في امستردام اني بغدادي تبدلت امارات وجهه وكسا محياه العجب كمن يعثر على لؤلؤة نادرة على ساحل البحر . فكان ان دعاني الى بيته ثم الى بيت عمته ثم الى بيت اخته الحديثة الزواج ثم الى بيت خالته حتى اني لم اعد احتاج الى تخطي عتبة مطعم . وهنا يجب ان اعترف اخلاصاً للحقيقة والواقع ان هذا الاحترام وهذا الترحيب بل هذه اللهفة لم يكن سببها الوحيد جمال قسمات وجهي! ففي كل ليلة بعد العشاء او قبله كان علي ان القي امام عائلة يم « وهذا هو اسم صديقي » مختارات ونماذج منوعة من الغناء العربي الحديث والرقص البدوي والشعر الجاهلي وكثيراً ما دفعني جهلي وعدم رغبتي في تخييب آمال يم الى نفح عقيرتي بمجموعة من الاصوات الناشزة المتنافرة مقتطفة مما اذكره واعلمه من اغاني عبد الوهاب وام كلثوم مردداً بين آن وآخر لمستمعي الكرام اني اجهل الموسيقى جهلا مطبقاً وان صراخي لا يمكن ان يعتبر كنماذج حقة للموسيقى العربية المعاصرة واني ارضخ لالحاحهم ، وان صوتي يضعني على بعد اميال من فن الغناء الا ان كل ما كنت اقوله كان هباء عبثاً وكانوا يعتقدون انه من قبيل الدلال او انه وسيلة غير مباشرة لسماع الاطراء وبعث الايادي على التصفيق وكانوا يجدون فيما تفضلوا بدعوته موسيقى جمالا وجدة وعنصراً مستحدثاً لاسماعهم المتعودة على انغام موزارت وبيتهوفن .

واني اذكر ان « نينكه » وهي ابنة خالة يم البالغة الثامنة من عمرها رفضت ان تنام حين سمعت اني سوف « أشرف » دارهم بزيارتي منتظرة اياي اذ انها كانت تريد ان تلقي علي سراً بضعة اسئلة رفضت الا ان تكتم فحواها عن ابويها . وقد وجدت صعوبة في فهم اسئلتها لرفضها البات الاستعانة بوالدتها لتترجم لي اقوالها . وهذا هو السؤال الاول : اين وضعت السجادة السحرية التي جئت طائراً عليها من بغداد الى امستردام وان كنت ارضى ان اعيرها إياها . وكان سؤالها الثاني عما اذا كنت اخفي في جيبي فانوس علاء الدين السحري، وحين حاولت ان افهمها اني لست احد ابطال الف ليلة راحت تبكي ظانة اني غضبت وان غضبي هو سبب رفضي الاجابة على اسئلتها بالصدق . وبعد ان حملت ربة البيت طفلتها لنينكه الى الفراش قسراً عادت ضاحكة مبتسمة داعية اياي الى المائدة سائلة اياي ان كنت احب الطبخ الهولندي وحين اجبت بالايجاب قالت : «اني اعتقد ان بغداد من اجمل مدن العالم » فقلت لها ان ذلك قد يكون حقيقياً وسالتها ان كانت قد زارت هذه المدينة فقالت : « لا، مع الاسف . لكني اؤكد لك اني قد شاهدت جميع الافلام التي عرضت هنا والتي تدور حوادثها في مدينتك الملأى بالعجائب. ما اجمل الحريم وما اجمل البسة النساء خاصة في فلم « علي بابا » وفي فلم « بغداد » الذي شاهدته هنا في الاسبوع الماضي . ويظهر انها لاحظت على اساريري طيف آهة وبعض الانزعاج فقالت بلطف : الا يعجبك ما اقول ؟ فقلت : « بالعكس » وانا اسائل نفسي ان لم يكن واجبي تجاه الحقيقة يحتم علي ان اقول لهذه السيدة الفاضلة ان بغداد في افلام هوليود لا علاقة لها البتة

http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاستاذ نعيم قطان

بالمدينة التي عشت فيها ام انه لم يكن من الافضل ان اتركها تستمتع باحلامها وخيالاتها خاصة ان الامل ضعيف في ان تزور يوماً عاصمة العراق، وكان في نفسي مع ذلك بعض الخيبة حين بددت عنها خيالاتها وقلت لها ان جمال بغداد حقيقة واقعة الا انه يختلف عن الخيال الذي تعرضه علينا منتجات هوليوود .

•

وحين غادرت دار مضيفي كنت اقول في نفسي : هل يعلم مخرج افلام علي بابا والسندباد ان من تأثير افلامه التي لا اقدرها من الناحية الفنية قد كان نعمة علي اذ انه قد كفل لي المتعة اربعة ايام في عاصمة الاراضي المنخفضة . ثم قلت ان ما يهم المخرج هو نجاح افلامه ولا يلتفت مطلقاً الى بعض النتائج غير المتوقعة لهذا النجاح .

واني اذ الفظ كلمة غير متوقعة اتذكر حادثة غير متوقعة لوددت ان ارويها . فحين كنت اسير ذات يوم في السبوا وهو شارع لاهاي الرئيسي استوقفني شخص اسمر اللون تصحبه زوجته وكنت اشك في انه عربي فسالني بالفرنسية عن الطريق المؤدية الى المحطة فاجبته بالعربية ان هناك محطتين في لاهاي وسالته ايهما يريد فاجاب بالانكليزية « تعذرني يا سيد اني لا اتكلم الهولندية فقالت زوجته: انه يكلمك العربية فانطلق ضاحكا وقال لي اني لم اكن اتوقع ان اسمع العربية في قلب لاهاي وحين سمعت لغة غير الفرنسية ظننت انها الهولندية وصحبت الزوجين الى المحطة وتحدثنا طول الطريق عن انطباعاتنا عن هولندا .

ومن المغامرات المضحكة التي حدثت لي في هولندا الحادثة التالية : كنت في خلال رحلتي الاولى في هذه البلاد في مخيم للشباب والسكنى في مخيم تسمح لعدد كبير من الهولنديين والاجانب قضاء عطلتهم في الهواء الطلق دون تحمل مصاريف باهظة، وكان هذا المخيم على بعد عشرة كيلومترات من نهر الراين على مقربة من مدينة أرنم وكانت حرارة الجو كثيراً ما تولد فينا الرغبة في السباحة وكنا كل يوم تقريباً نذهب الى نهر الراين بعد ساعة من الغداء راكبين الدراجات مارين بطريق بالغة الجمال تظللها الاشجار الباسقة الوارقة نغني ونمزح طول الوقت . وكان عددنا يبلغ احياناً العشرين من فتيان وفتيات وجلهم هولونديون وما نكاد نصل الى ساحل النهر حتى نلقي بدراجاتنا وملابسنا ارضاً ونهرع نحو الماء . وفي المرة الاولى التي صحبت فيها الآخرين قالت لي هارمينا وهي احدى فتيات هذه الفرقة : « ان قميصك بيضاء ويجب ان تخفيها تحت الدراجة والا فان البقر سوف تأتي لاكلها. والقيت بنظري الى الحقل المجاور حيث كانت بضعة ابقار ترعى العشب وكانت هيئة هذه الحيوانات المسالمة لا تجعلني اشك في حسن نيتها وظننت ان هارمينا تمزح وتريد ان اكون اضحوكة للآخرين مستغلة جهلي بعادات البقر في الحقول الهولندية فقلت مازحاً : اني اريد ان اترك ذكرى حسنة في نفوس البقرات الهولندية واني مستعد لهذا الغرض ان اضحي بقميصي . وحين قالت هارمينا بجد « اني لا امزح » ازداد يقيني انها تفعل ذلك وانها تجيد تمثيل دورها . وما كان اشد عجبي حين تركنا الماء بعد السباحة ولم اعثر بين ملابسي على قميصي . فرحت ابحث عنها في كل مكان واخبرت رفاق الرحلة بالامر فامتطى اربعة منهم الدراجات واتجهوا الى حيث يرعى البقر في نواح مختلفة واعاد لي احدهم قميصي وقال لي وهو لا يتمالك نفسه من الضحك انه انتشلها من فم بقرة كانت تمضغها ببطء، فانها تتذوق طعمها . وحين عدت كانت الاقصوصة تتناقلها الالسن . وفي ذلك اليوم

العـرب

•

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا
همزة الوصل بين الشرق والغرب
اقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها :

الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB
36 Rue Vivienne Paris 2

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علمت أن كلمة Koe الهولندية تعني بقرة وهذه الكلمة كانت الاولى لسلسلة كلمات هولندية اخرى تعلمتها فيما بعد ولا اكشف سراً حين اقول ان هذه اللغة من الصعوبة بمكان وكم كنت افرح حين اتكلم ببعض العبارات التي تعلمتها فاسمع من محدثي الهولنديين ان لفظي الهولندي لا غبار عليه واني اتقن خاصة التلفظ بالخاء وهذا اللفظ يصعب التفوه به على الاجانب الذين يتعلمون هذه اللغة .

وقال لي ذات يوم صديقي يم : اني اهنئك على حسن لفظك للخاء (G) كيف تعودت على ذلك ؟ فقلت : منذ وجودي في بغداد فقال متعجباً : هل بدأت بتعلم الهولندية في بغداد ؟ فقلت : لا انما الخاء هو حرف في اللغة العربية كذلك . فقال مبتسماً : « اترى ؟ ان هناك بعض التشابه بين الهولندية والعربية . الا تعتقد انك لست غريباً تماماً في هذه البلاد ؟ »

باريس **نعيم قطان**

الاديب في عقدها الثاني

☆

نواصل فيما يلي نشر ما كتبته الزميلات الكريمات بمناسبة دخول « الاديب » سنتها الحادية عشرة ، شاكرين لكتابها الافاضل تلطفهم وحسن ظنهم وجميل عنايتهم :

***

« الاديب » من ارقى المجلات العربية مستوى ومن اوسعها انتشاراً ، بل هي المنارة التي تواصل عملها منذ عشر سنين ونيف باعثة انوار الثقافة العميقة الى جميع الاقطار العربية ، وهي رسالة الادب الراقي والفكر الواسع ، تدبجها اقلام اكابر المفكرين ، ويدير شؤونها الاستاذ الكبير اللامع البير أديب ، الذي اظهر من الهمة في ذلك ما تعجز عنه عشرات الرجال ، والذي ذلل كل صعب في سبيل الخدمة الثقافية الخالصة والنزيهة التي يريد ان يؤديها لابناء بلاده .

واذ تدخل « الاديب » عامها الحادي عشر فنحن نتقدم بالتهنئة الخالصة الى صاحبها ، متمنين له اطراد النجاح والتوفيق .

مجلة « المسرة » لرهبانية المرسلين البوليسيين - حريصا لبنان

***

استقبلت مجلة الاديب الغراء في بيروت التي يصدرها الاديب الكبير الاستاذ البير اديب عامها الحادي عشر من حياتها الحافلة بجليل الخدمات للثقافة العامة والادب العربي .

فنرجو لها التوفيق على مر السنين ونهنىء صاحبها بالعام الجديد

جريدة « شيخ الصحافة » القاهرة

***

قبل بضعة ايام دخلت الزميلة مجلة الاديب الغراء عامها الحادي عشر وهي دائبة على كفاحها المشرف في سبيل اداء رسالتها القيمة لرفع مستوى الثقافة والفكر العربي . وهي في طريقها لبلوغ هذا الهدف قد فتحت صدراً رحباً اتسع لعدد كبير من الناشئين من الذين التمست فيهم بارقة نبوغ .

ونحن اذ نسجل هنا تقديرنا لمنشئها الاستاذ البير اديب نتمنى « للاديب » الموفقية في طريق الكفاح الفكري .

جريدة « صوت الكرخ » بغداد

***

دخلت الزميلة الوفية مجلة « الاديب » اللبنانية في عقدها الثاني وعامها الحادي عشر . وكانت اثناء سنواتها العشر الماضية مثالا يقتدى به في الصحافة العربية الناهضة فنتقدم لصاحبها الاستاذ البير أديب بتهانينا الحارة متمنين للاديب ازدياد التقدم واطراد النجاح .

مجلة « الانيس » تطوان المغرب

الاسواق التجارية

•

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية
تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن
المرابين الجشعين وحماية
اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى
ساحة الشهداء - بيروت

الهاتف : ٦٨ - ٦٦

العنوان البرقي : ادفرت ، بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



٢٤ فبراير ١٩٥٢ – أعلن في مؤتمر حلف شمال الاطلسي الذي عقد في لشبونة ان دول الحلف وافقت على التقدم بنحو ٥٠ فرقة برية و ٤٠٠٠ طائرة وقوة بحرية كبرى للجيش الاوربي قبل نهاية العام .

٢٥ – أذاع راديو براج نبأ اقالة رئيس اركان حرب الجيش التشيكوسلوفاكي واعتقاله بتهمة محاولة قلب نظام الحكم .

٢٦ – اكدت وزارة الخارجية البريطانية ان السر رالف ستفنسون سفير بريطانيا في القاهرة سيجتمع الى علي ماهر باشا رئيس الحكومة لفتح المفاوضات المصرية البريطانية التي توقفت في اكتوبر الماضي عقب الغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ فاذا نجحت المباحثات التمهيدية فسوف يرسل الخبراء للاشتراك في المباحثات .

٢٧ – يدور القتال عنيفا في الهند الصينية بين قوات الفيتناميين التابعين لقيادة الجنرال هوشي منه وبين القوات الفرنسية التي توالي تقهقرها وانسحابها من الشمال بدون نظام بعد ان انهارت الخطوط التي اقامها الماريشال دولاتر ده تاسيني وقال عنها قبل وفاته انها قادرة على الصمود .

٢٩ – استقالت حكومة السيد ادجار فور بعد ان خذلها مجلس النواب الفرنسي برفضه زيادة الضرائب التي طلبتها الحكومة لتتمكن فرنسا من التسلح تنفيذاً لتعهداتها في مؤتمر لشبونه بصدد انشاء الجيش الاوروبي .

– رفضت حكومة شرق المانيا مشروع توحيد المانيا الذي تقدمت به هيئة الامم المتحدة

اول مارس ١٩٥٢ – استقال علي ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية فكانت مفاجأة عالية

٢ – الف نجيب الهلالي باشا الوزارة المصرية .

٣– اصدر الملك فاروق مرسوما بتعطيل البرلمان المصري لمدة شهر .

٥– اذاع راديو بكين بيانا أتهم فيه امريكا باستعمال الجراثيم في حرب كوريا .

– اذاع ناظر الخارجية الامريكية دين اتشيسون بلاغا كذب فيه مزاعم راديو بكين باتهام قوات الامم المتحدة بنشر الجراثيم في كوريا

٦ – وافق المجلس الوطني الفرنسي على تفويض السيد انطوان بنيه بتاليف الوزارة الجديدة .

٧ – خطب المستر سلوين لويد وزير الدولة البريطاني فقال لا سلامة في اوروبا اذا لم تساهم المانيا في الدفاع الاوروبي .

– تستمر مفاوضات الهدنة في كوريا دون جدوى .

٨ – صرح المستر بيرسن وزير خارجية كندا بقوله : اننا غير مقتنعين بان تدابير الثأر من الصين كمحاصرة السواحل الصينية لن تسبب انتشار الحرب ونقلها الى العالم بدلا من وضع حد لحرب كوريا .

١٠ – قام الجنرال باتيستا بانقلاب عسكري في كوبا وسيطرت قواته على الحالة العامة في البلاد وقد هرب رئيس الجمهورية السينيور كارلوس بريو سوكاراس – فعين الدكتور كارلوس سالادر نحاس رئيسا مؤقتا وهو احد اعوان الجنرال باتيستا .

١١ – اصيب الجنرال بلاستيراس رئيس الوزارة اليونانية الائتلافية بشلل جزئي . وقد صدر مرسوم باسناد رئاسة الوزارة بالوكالة الى المسيو فنزيلوس وزير الخارجية .

– تسلمت سفارات الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا في موسكو مذكرات متشابهة من وزارة خارجية الاتحاد السوفياتي تدعو الى عقد معاهدة صلح مع المانيا فوراً وتطلب البحث في ايجاد الاحوال التي تؤول الى انشاء حكومة تمثل المانيا كلها لكي تشترك بوضع المعاهدة مع الدول الاربع .

١٢ – وجه المستر اتشيسون وزير الخارجية الاميركية كتابا الى رئيس اللجنة الدولية للصليب الاحمر طالبا اليه اجراء تحقيق في تهم سلطات كوريا الشمالية ان الامم المتحدة تشن حرب جراثيم في كوريا .

١٤ – قدم سفراء امريكا وانجلترا وفرنسا في موسكو ثلاث مذكرات الى الحكومة السوفياتية تتعلق بمعاهدة الصلح النمسوية مرفقة بوثيقة تقضي بمنح النمسا استقلالها التام

١٥ – قررت الخزينة الامريكية تجميد حسابات الدولار العائدة لبنك اصدار المانيا الشرقية في الولايات المتحدة .

١٧ – اذاعت الحكومة الايرانية ان محاولات بعثة البنك الدولي قد باءت بالفشل بشأن تسوية مشكلة النفط الايرانية .

– وقع اتفاق ثنائي بين الولايات المتحدة والبرازيل لتعزيز نظام الامن المشترك في النصف الغربي من العالم ويقضي الاتفاق بتبادل المعدات العسكرية والمواد الخام الضرورية لتقوية الاجهزة الدفاعية .

١٨ – وصل الى باريس الهر ايدناور مستشار حكومة المانيا الغربية واجتمع بالمسيو شومان وزير خارجية فرنسا لبحث مشكلة السار التي تهدد العلاقات الفرنسية الالمانية .

٢٠ – وصل عمان الزعيم سلو رئيس الدولة السورية رئيس مجلس الوزراء والعقيد اديب الشيشكلي رئيس الاركان العامة في زيارة رسمية للمملكة الاردنية .

٢١ – تدل الانتخابات التمهيدية التي تجري في الولايات المتحدة لاختيار المرشحين لرئاسة الجمهورية على فوز الجنرال ايزنهاور مرشح الحزب الجمهوري الذي صرح بان هذه النتائج تحمله بعيد النظر في موقفه من ترشيح نفسه للرئاسة

٢٢ – صرح المستر لوفيت ناظر الدفاع الامريكي بانه تلقى اشعاراً يفيد ان قوات صينية شيوعية قد اخترقت حدود الهند الصينية .

الدكتور
نهاد نور الدين بيضون
اختصاصي بالأمراض الصدرية
من مستشفيات
لندن وباريس والولايات المتحدة
مساعد أستاذ الامراض الصدرية
«جامعة باريس»
استاذ في علم الصحة
«جامعة هارفرد . الولايات المتحدة»
العيادة : شارع الشيخ بشاره الخوري
بيروت – لبنان

دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت
تليفون 98 - 35

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com